المنور

تصميم الغلاف
عبد العزيز محمد

المشروع الوطني للترجمة

المنــور

تأليف : أنطونيو بويرو باييخو

ترجمة: أنطونيو مارتينز كاسترو

جعفر محمد العلوني

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٧م

العنوان الأصلي للكتاب:

Corona

المنور/ تأليف أنطونيو بويرو بابيخو؛ ترجمة أنطونيو مارتينز كاسترو، جعفر محمد العلوني. - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٧م .- ٢٠٨ص؛ ٢٠ سم.
(المشروع الوطني للترجمة)

١-٨٦٢ ب ا ي م ٢- العنوان ٣- بابيخو
٤- كاسترو ٥- العلوني ٦- السلسلة
مكتبة الأسد

مُقَدِّمَة

ينزع مسرح الكاتب الإسباني أنطونيو بويرو باييخو Antonio Buero Vallejo (١٩١٦-٢٠٠٠) نحو الرغبة إلى عرض الكائن الإنساني وقيوده المؤلمة؛ توقه إلى الحرية، وبحثه الدائم عن السعادة، والحقيقة، غير أنَّ هذا كله يصطدم بالظروف المحددة التي يعيشها. يواجه بويرو هذه التراجيديا الإنسانية تارةً من جهة وجودية؛ - عاكساً تأملاته حول الحالة الإنسانية، بما فيها من آمالٍ وإحباطات - وتارةً أخرى من جهة اجتماعية، رافضاً المظالم بالمعنى الأخلاقي والسياسي. وعلى الرغم من أنه يعوّل في مسرحياته على التقنيات الواقعية، إلا أنّها في الوقت نفسه، مليئة بالمعاني الرمزية؛ وحالة الرجل الأعمى هي أحد هذه الرموز الجوهرية- إضافة إلى كثير من المعايب الجسدية والنفسية - التي، وكما يقول الكاتب نفسه، تمثّل قيود الحالة الإنسانية.

يمكننا الإشارة، في مسيرة أنطونيو بويرو الأدبية، إلى مرحلتين رئيستين: الأولى – حتى العام ١٩٥٥ - تُلخص في عملين أساسيين: الأول هو «قصة درج Historia de una escalera»، وهي دراما وجودية واجتماعية، تتحدث عن حياة ثلاثة أجيال لجيران متواضعين

يشهدون كيف يحطِّم الزمن آمالهم، وهم عاجزون عن الخروج من الحياة الوضيعة والضيقة التي يعيشون. بالنسبة للمسرحية الثانية، «في الظلمة المتوهجة En la ardiente oscuridad» (١٩٥٠)، فهي تروي قصة أشخاص عميان يوجدون في حالتين وجوديتين، فإما أن يقتنعوا بالواقع ويخلقوا عالماً خيالياً، ولكنه عالم سعيد، وإما أن يكونوا واعين لآلامهم وللمظالم، فيتقبلونها ويتمرَّدون عليها.

كتب بويرو في المرحلة الثانية من مسيرته الدراما التاريخية، مشيراً في ذلك، وبطريقة غير مباشرة، إلى إسبانيا الحاضر. إن مسرحيات مثل «حالم من أجل القريةUn soñador para un pueblo» (١٩٥٨) التي تتحدث عن **Esquilache**[١]، ومسرحية «Las Meninas» (١٩٦٠) التي تتحدث عن علاقات بيلازكس **Velázquez**[٢] مع السلطة في القرن السابع عشر، هي تأملات تاريخية تحاول الإضاءة على الحاضر. تبرز أيضاً في هذه المرحلة الثانية مسرحية «المنور El tragaluz» (١٩٦٧)، هذه التي نقدّمها اليوم إلى القارئ العربي مترجمة لأول مرة عن اللغة الإسبانية.

---

(١) الماركيز دي إسكيلاتشي Marqués de Esquilache: سياسي إسباني من أصل إيطالي. كان في عهد كارلوس الثالث وزير الحرب والمالية. أصدر العديد من القوانين الإصلاحية الاقتصادية بهدف فصل الدين عن السلطة المدنية.

(٢) Diego Rodríguez de Silva y Velázquez (١٥٩٩ - ١٦٦٠): رسام إسباني شهير من أشهر لوحاته Las Meninas.

تعدُّ مسرحية «المنور» من أكثر المسرحيات حرفية، إذ يقدّمها كاتبها بأنّها خيال علمي. تروي قصة رجل وامرأة يعيشان في قرن افتراضي، ويتوجهان إلى المشاهد لكي يخبراه نتيجة البحث؛ إنهما يعيدان رواية أحداث قصة وقعت أحداثها في مدريد ما بعد الحرب الأهليّة. بهذا الشكل، يصبح الحد الفاصل بين العالم الواقعي الموضوعي والعالم الذاتي ضبابياً. الموضوع الرئيس لهذا العمل الدرامي هو عدم تماسك البطل، والظروف التراجيدية التي تنتج عن هذه الحالة.

وأما عن القصة التي يستعيدها هذان الزوجان ويسردانها للجمهور الذي يحضر عرضهما فهي تعكس إسبانيا ما بعد الحرب الأهلية، إذ إنهما يرويان قصة أخوين: بيثينتي وماريو؛ تفرقا بسبب الحرب، وبعد عدة سنوات، يتمكن أحدهما من الوصول إلى مركز اجتماعي مهم، في حين أن الآخر يعيش وضعاً بائساً مع أبيه المريض عقلياً وأمه غير السعيدة. تتشابك أحداث المسرحية ويقع الأخوان في حب شابة تدعى إنكارنا التي تقيم علاقة مع بيثينتي ولكنها في الحقيقة تحبّ ماريو.

في الحقيقة، إننا أمام مسرح أخلاقي، حيث الصراع الجوهري في هذا المسرح هو بحث الإنسان عن الحقيقة، هذه الحقيقة القاسية التي لا يمكن تقبلها بأي شكلٍ من الأشكال. والحقيقة هي الجريمة التي يرتكبها بيثينتي، أحد أبطال المسرحية، في الماضي

القريب. إن هذه الحقيقة - الجريمة- هي المحرك الرئيس لأبطال المسرحية، وكأن الكاتب يعيدنا بذلك إلى قصة قابيل وهابيل والجريمة، الحقيقة الأولى لكل شيء. وكما هو الحال في قصة قابيل وهابيل، فإن مصير شخصيات العمل لا يرتبط بعوامل خارجة عن الطبيعة، كما أنه لا يرتبط بالإله نفسه، وإنما يرتبط بأفعال الإنسان وقدرته على ارتكاب الحماقات على الأرض.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الكاتب أنطونيو بويرو وقع في جدالٍ شهير مع الكاتب ألفونسو ساستري Alfonso Sastre، فقد رفض هذا الأخير شرعية الإشارة إلى الواقع الإسباني بطريقة مخفيّة، محافظاً على المظهر الخارجي؛ في حين أصر بويرو، بدوره، على فكرة الاستغلال الثمين لأيّ ثغرة تتركها رقابة نظام فرانكو، وذلك للتعبير وإتاحة فرصة العرض. في الواقع، لقد تمكن بويرو من تحقيق ذلك، وقد وصل ليصبح الكاتب المسرحي الأكثر احتراماً وشهرةً من جانب الجمهور والنقد.

إنَّ كل مسرحية جديدة للكاتب أنطونيو بويرو هي تجريبٌ شكليٌّ، يحققه دون إثارة ضجة أو غلبة، ويكيّفه مع أعراف المسرح التجاري. هذا هو مفتاح النجاح: التجديد دون الانقطاع مع القوانين المتوافق عليها.

المترجمان

المنور

عُرضت هذه المسرحية للمرة الأولى مساء السابع من تشرين الثاني عام ١٩٦٧م، على مسرح الفنون الجميلة في مدريد، على النحو الآتي:

شخصيات المسرحية **(الترتيب بحسب مداخلاتهم):**

هي **..............** كارمن فورتوني

هو **..............** سيرخيو بيدال

إنكارنا **..........** لولا كاردونا

بيثينتي **...........** خيسوس بونتي

الأب **............** فرانثيسكو بييرّا

ماريو **............** خوسّيه ماريّا روديرو

الأم **.............** أمبارو مارتي

العاهرة **(صامتة)** ماري ميرتشي أبريو

النادل **(صامت) .** نوربيرتو مينيسا

أصوات وأشباح في الشارع

إخراج **.........** خوسّيه أوسونا

ديكور **..........** سيجفريدو بورمان

الفصل الأول

يثير الاختبار على خشبة المسرح انطباعاً مبهماً في بعض الأحيان حول الأماكن التي ستوصف كما سيأتي الآن[1]:

تحتل غرفة الجلوس في قبو متواضع ثُلثَي يمين خشبة المسرح. يوجد باب في جدارها الأيمن، وفي العمق ممر قصير يؤدّي إلى مدخل البيت. لمَّا يُفتح باب البيت يظهر صفاء الردهة، وفي الجدار الأيمن لهذا الممر باب غرفة نوم الوالدين، وفي جداره الأيسر باب المطبخ.

لا يمكن رؤية الجدار الأيسر لغرفة الجلوس بأكمله: إذ يتصل في الطرف الأعلى مع جدار العمق حيث يشكل زاوية

---

(١) من الخصائص البارزة في نصوص بويرو باييخو الدرامية الوصف الدقيق لخشبة المسرح، إضافة إلى العدد الكبير من الحواشي المتعلقة بشخصيات العمل، الملابس، الفعل،... إلخ. بحيث يمكن القول إن الكاتب كان قد شاهد العرض مسبقاً، بما في ذلك أكثر التفاصيل دقةً.

الغرفة معه في شريط ضيق، أما المسافة السفلى منه فتمتد إلى الأمام على شكل مستطيل علوه متر ونصف المتر.

الأثاث قليلٌ، رخيص ورثّ. في اتجاه اليسار طاولة مستديرة، عليها غطاء، حولها كرسيان أو ثلاثة كراسٍ. في الطرف الأمامي الأيمن هناك كرسي مقابل الجدار وأمامه طاولة صغيرة. في أسفل الجدار الأيسر الذي يأخذ شكل مستطيل، توجد أريكة عتيقة وبعض الكراسي موزعة عند الزوايا. هناك خزانة ذات أدراج في الجزء الأيمن من الجدار الموجود في العمق، فوقها إبريق ماء وكؤوس وصحن للفاكهة وسلة خبز، وهذا ما يدلّ على أنها تُستخدم أيضاً كبوفيه مفتوح. على الطاولة الصغيرة الموجودة في جهة اليمين توجد أوراق، ومنفضة، وكتاب ما. على الجدران صور معلقة بدبابيس لممثلين وكتّاب مقصوصة من مجلات وبطاقات أعمال فنية، كذلك نسخ طبق الأصل للوحات شهيرة مأخوذة هي أيضاً من مجلات تتناوب مع صورٍ قديمة للأسرة.

ينير المنور العريض الموجود على مستوى الشارع القبو ولكنه لا يرى للعيان: يقع في الجدار الرابع لخشبة المسرح، ولمَّا تشير

شخصيات المسرحية إلى فتحه ينعكس ظل شبكة المنور على غرفة الجلوس.

يشغل الثلثَ الأيسر من خشبة المسرح كتلةٌ جانبها الأيمن يصادف المستطيل الأسفل لجدار غرفة الجلوس الأيسر. على هذه الكتلة يوجد مكتب. الجدار الوحيد الذي يطل بوضوح هو جدار خلفية المسرح، الذي يشكّل زاوية قائمة مع الشريط الرفيع لجدار غرفة الجلوس الواصل إلى أعلى مستوى. على يمين هذا الجدار يوجد كرسي ومكتب موجّه إلى الجمهور، وعلى يساره خزانة الملفات، وبينهما باب الدخول. في الطرف الأمامي الأيسر للمكتب، وبشكل مائل، يوجد كرسي وطاولة عليها آلة كاتبة. على خلفية المسرح فوق الكرسي توجد لافتة دعاية لدار نشر كتب عليها بخط واضح «الأدب الجديد»، كذلك توجد على هذا الجدار نصوص غير مقروءة بين صور غلافات كتب وصور لكتّاب رؤوسهم مماثلة لرؤوس موجودة في غرفة الجلوس.

أمام واجهة المستطيل الذي يحمل المكتب توجد مائدة مقهى وكرسيا ترّاس. في الجهة المقابلة لها على خشبة المسرح، حيث

يشكل زاوية مع الجدار الأيمن لغرفة الجلوس، يوجد حائط قذر، جصه مقشّر، يطل على الشارع.

في الواجهة الأمامية لخشبة المسرح، سواء من جهة اليمين أم اليسار توجد مساحة لدخول الممثلين وخروجهم.

ضمن هذا الهيكل العام لخشبة المسرح لا يمكن رؤية السقيفة. تقاطعات الأماكن الموصوفة غير دقيقة بسبب هوان غريب في الضوء أو المادة نفسها بحيث إنَّ أشكالها تظهر غامضة ومهتزة.

الضوء الذي ينير الزوجين اللذين يؤديان الاختبار أبيض وعادي دائماً. في حين، الإنارات المتتالية للمشاهد والأماكن الأخرى تخلق، وعلى العكس، أثراً ثابتاً ضارباً إلى السواد والإحساس باللا واقعية.

(إنارة الصالة مطفأة، تدخل من عمقها شخصيتان- هي وهو- هما زوجان شابان يرتديان ثياباً غريبة تنسجم مع القرن الذي يعشيان فيه. تنيرهما بقعة ضوء. حركتهما متقطعة ومرنة. يقتربان من الخشبة، يتوقفان، يلتفتان إلى الوراء ويحدّقان

بالجمهور في بضع ثوان. بعدها يتكلمان بصوت مرتفع وهادئ).

هي : نرحب بكم، ونشكر لكم رغبتكم في حضور اختبارنا.

هو : لا ندري إن كان ما سنقوم به سيثير اهتمامكم.

هي : بالنسبة لنا كان مهماً إلى درجة عالية **(تنظر إلى زميلها مبتسمة).** أكان يقال في ذلك الحين «إلى درجة عالية»؟

هو : نعم. **(إلى الجمهور).** لسؤال زميلتي سبب. ستستغربون طريقة كلامنا الفظة الجديدة في هذه التجارب. لقد أوصى المجلس المختبرين باستخدام ألفاظ الفترة الزمنية التي يعاد إحياؤها. لذلك نكلّمكم وفق الطريقة المتداولة في القرن العشرين، وتحديداً، حسب اللغة المحكية في النصف الثاني من ذلك القرن البعيد. **(يصعدان الدرج إلى خشبة المسرح ويلتفتان من جديد إلى الجمهور).** نعتقد، أنا وزميلتي، أننا محظوظان كثيراً لتنفيذ هذا الاختبار، وهذا لسبب استثنائي، ألا وهو أن القصة التي نجحنا في استرجاعها من الماضي، تعطينا السؤال، بصورة واضحة منذ ذلك الزمان البعيد.

هي : كما تعلمون، نادراً ما يُطرح السؤال في قصص العصور المختلفة التي أعاد مكتشفوها سردها. أما في القصة الحالية فستجدون السؤال مطروحاً بأعجب الطرق.

هو : ليس من يطرح السؤال شخصية بارزة أبداً، ليس واحداً من أولئك الذين يرسخون في الذاكرة، إنما هو كائن قاتم ومريض.

هي : القصة غامضة وفريدة من نوعها، مثل قصص عديدة غيرها، فقد فهمنا مجدداً منذ قرونٍ الأهمية... (إلى زميلها) اللامتناهية؟

هو : اللامتناهية.

هي : الأهمية اللامتناهية لهذه الحالة الفريدة. عندما كانت هذه الأشباح تعيش، قيل إن رؤية الأشجار تمنع رؤية الغابة. وإبَّان فترات طويلة جرى نسيان أنه يجب أن ننظر إلى شجرة وراء شجرة حتى- كما قيل في ذلك الحين-

لا تتجرد رؤيتنا للغابة من الإنسانية. أخيراً، كان على البشر أن يتعلموا هذا الشيء كي لا يموتوا، ومنذ ذلك الوقت لم يعودوا ينسونه.

(يرفع يده ويلتفت إلى الخلف وإلى أطراف الصالة. لمعان ضوئي متذبذب ينير الزوجين والستار**)**

هو : بما أننا لم نتمكن من استرجاع الأصوات، فقد أُعيد تركيب الحوارات من خلال حركة الشفاه، وأضيفت إلى المشهد بطريقة مصطنعة... ولَمَّا تدير الشخصيات ظهورها أو تكون رؤيتها غير واضحة، يستنتج المستثمرون الإلكترونيون (لزميلته). أكان يطلق عليهم هذا الاسم آنذاك؟

هي : حواسيب أو أدمغة أيضاً.

هو : يستنتج مستثمرو الحواسيب كلماتهم غير الواضحة، كما أنهم يضيفون، بالطريقة نفسها، الأصوات الطبيعية المحيطة بهم.

هي : جرى استدلال بعض الكلمات القادمة من المنور بالطريقة نفسها عبر الأدمغة الإلكترونية.

هو : إلا أن حالة هذا الكلام كظاهرة واقعية هي، كما ستدركون، أكثر إثارة للشك.

هي : (تومئ يدها بالصبر)... ستدركون فيما بعد.

هو : ستسمعون أيضاً، من حين إلى آخر، صوتاً غريباً لا يمتُّ إلى الاختبار بصلة، وهو الصوت الوحيد الذي سمحنا لأنفسنا بإضافته على مسؤوليتنا.

هي : إنه الصوت الخاص بوسيلة النقل المنقرضة التي كانت تدعى القطار، وأتينا به من تسجيل قديم. سنستخدم هذا الصوت للتعبير عن هموم خفية، يجب، كما نعتقد، أن تظهر للعلن: ستسمعون قطاراً أو، بالأحرى، خاطرة.

(تُرفع الستارة. تجلس إنكارنا في المكتب عند منضدة الآلة الكاتبة. ينظر بيثينتي إليها وهو جالس خلف طاولة المكتب وفي يده ورقة. يجلس الأب إلى السفرة في غرفة الجلوس ممسكاً بمقص وأمامه مجلة قديمة، ويظهر ماريو عن يمينه جالساً إلى الطاولة

الصغيرة حاملاً بيده قلماً وأمامه بعض المطبوعات. الأربعة في وضعية ثبات. لمعان ضوئيٌّ متذبذب في القاعتين).

هو : يكمن أساس الاختبار في أن إنارة الكشافات الضوئية تُبقي بعض الأماكن مرئية بصورة متزامنة إلا أن وضوحها متفاوت. (مشيراً إلى خشبة المسرح). في هذه الأثناء تعمل الشخصيات بوتيرة منخفضة، كما أنها تظهر غير متحركة؛ سوف يمثّلون أدوارهم بإيقاع عادي عندما يصل دور كلّ منهم. نرجو أن تنتبهوا: فأول مجموعة من الكشافات الضوئية ستصل قريباً إلى مكانها المناسب...

(يتلاشى لمعان الأضواء شيئاً فشيئاً. ينخفض التذبذب الضوئي في المكتب ليحل محله ضوء نهاريٌّ ساطع، في حين يبقى الظلام مخيماً على ما تبقى من المشهد. تبدأ إنكارنا تنضّد على الآلة الكاتبة ببطء شديد).

دارت أحداث هذه القصة في مدينة مدريد التي كانت عاصمة لوطن قديمٍ كان يسمّى إسبانيا.

هي : إنها قصة بعض الأشجار، التي ماتت، في غابةٍ ضخمةٍ.

(هو وهي يخرجان من طرفي الخشبة. يصبح إيقاع التنضيد عادياً إلا أن التي تؤدّي عملية الطباعة على الآلة لا تبدو عليها علامات السرعة والدقة في العمل. في ظلام غرفة الجلوس يتحرّك الأب وماريو ببطءٍ شديدٍ من حين إلى آخر. تطبع إنكارنا من ورقة توجد على جانبها. عمرها خمسة وعشرون عاماً، ومع أنها شعبية المظهر، إلا أنه لا تنقصها جاذبية. ثيابها بسيطة ورثة. يبدو بيثينتي كأنه في الأربعين أو الواحد والأربعين من عمره، وهو رجل حسن المنظر، سعيد الملامح، يرتدي ملابس يومية أنيقة ويختارها بعناية، يلبس في يده اليسرى خاتماً ذهبياً سميكاً. تتوقف إنكارنا عن التنضيد، تنظر إلى بيثيني بارتياب، فيبتسم لها، فتعود إنكارنا إلى متابعة عملها).

إنكارنا : أعتقد أني أدّيته بشكل مُرضٍ.

بيثينتي : هذا يسعدني!

(تنضّد إنكارنا بحماس لبعض الثواني. يرنّ الهاتف).

إنكارنا : أأجيب؟

بيثينتي : سأجيب أنا **(يرفع سماعة الهاتف).** نعم؟**...** أهلاً يا خوان **(يسدّ سماعة الهاتف).** تابعي عملك يا إنكارنيتا**...** فلن يزعجني ذلك**. (تعود إنكارنا إلى التنضيد).** الترويسة؟ ما دام العقد لم يوقع حتى الآن، يجب عدم تغيير اسم دار النشر**...** كيف؟ ظننت أن لدينا أسبوعاً آخر أمامنا**...** بالتأكيد سأحضر **(إنكارنا تسحب الأوراق من الدرج).** أليس عليّ أن أبتهج يا رجل**!** منذ الآن وصاعداً ستسير الأمور على أكمل وجه**!** لا**.** الكتاب الأكثر مبيعاً من السلسلة الجديدة هو كتاب إيوخينيو بيلتران، وقد اتّفقنا حول الترجمات الثلاث**...** بالطبع**:** ستذهب رواية بيلتران الأخرى إلى الطباعة حالاً**.** بعد غد سنبرم العقد عندنا**.** حتى الآن لم أرسلها بعد لأن إنكارنيتا كانت تقرؤها **(تبتسم).** لقد أعجبت إنكارنا هي كذلك بهذا الكاتب جداً **(يحمل معه مفاجأة كبيرة)** ماذا تقول؟**...** أسمعك**!** أسمعك**! (يقطب حاجبيه، متضايقاً)** نعم، نعم، فهمت**...** ولكن اسمع**...** اسمع يا رجل**!...** أقول لك اسمع**!!...**

هناك مجموعة من المشكلات التي... انتظر (يسدّ السماعة). اسمعي إنكارنيتا: هل جمعت لي البطاقات والمجلات؟

إنكارنا : أستطيع ذلك في دقيقة.

بيثينتي : هيا إذاً، افعلي ذلك... إذا سمحت؟ (ينظر إلى ساعته). سوف نذهب في الحال؛ لقد حان الوقت.

إنكارنا : حسناً.

(تخرج من العمق).

بيثينتي: (عبر الهاتف). اسمع يا خوان. إسهام المجموعة الجديدة في سير العمل شيء، وأن تفرض علينا مخاوفها الأدبية أو السياسية أو ما شابه ذلك شيء آخر. أعتقد أنه يجب علينا عدم السماح بذلك... وأنت تعرف جيداً ما أقصده!... ماذا تعني بأنك لا تعرف؟ أنت أدرى من غيرك أنهم توعدوا بالانتقام من إيوخينيو بيلتران، وأنهم هاجموه كتابةً، وأنهم... (ينفعل) خوان، لدينا عقود سائرة المفعول، وعقود أخرى على الأبواب!

اسمع يارجل!... (منزعجاً). نعم، نعم، أسمعك... (يتغير لون وجهه؛ تعود نغمة صوته هادئة). لا أفهم لماذا تدفع بالموضوع إلى هذه الناحية... أعرف تماماً أنه لا يوجد أحدٌ لا يمكن الاستغناء عنه، أنا لا أطمح أن أكون كذلك... بكل تأكيد: يهمني دخول المجموعة الجديدة كما يهمك أنت على حدٍّ سواء... (يصغي إليه وهو مكفهرّ). اتفقنا... (يضرب بيده على الطاولة بغضب) فلتقل أنت ما نفعله!... أرني! تحت أمرك!... هذا جيد: سأفكر جيداً بما سأقول لبيلتران... لكن ماذا نفعل إن تسلّمنا طلبات جديدة للترجمة؟... سيكون عليَّ أيضاً أن أتحمل هذا الأمر، نعم، سيّدي... (بمرارة) مفهوم يا خوان. مات بيلتران، تحيا دار الناشر!... كلا، أنت مخطئ في هذه النقطة. يعجبني أسلوب بيلتران، غير أنني أعترف بأنه دخل في نوع من التصلّب والتحجر، ويا للأسف. (ترجع إنكارنا بمجموعة من المجلات المصوّرة وبطاقات بريدية وظرف. تضع كل شيء على الطاولة. ينظر كل منهما إلى الآخر.

تعود نبرة صوت بيثينتي قوية العزم وحاسمة). أتفق معك في وجهة نظرك: بإمكانك أن تكون واثقاً من هذا. ليست مهمتنا جمع الأموال مثل التجار فحسب، بل الحرص على الأدب الجديد... دائماً بإمرتك... إلى اللقاء. (أغلق الهاتف وظل مشغول البال). سيُبرم العقد الجديد غداً يا إنكارنا. ستسهم المجموعة الجديدة بأموال باهظة. ستتحسّن الأمور كثيراً.

إنكارنا : هل ستكون هناك من تغييرات على صعيد الموارد البشرية؟

بيثينتي : أنتِ مكانكِ هنا لا محالة، ها أنا ذا أؤكد لك هذا.

إنكارنا : منذ الآن، سيأمرني آخرون أوامر مثلما كنت تفعل أنت... ولن يعجبهم عملي.

بيثينتي : سأدافع أنا عن عملك.

إنكارنا : تخيّل أن يطلبوا منك طردي!

بيثينتي : لن يُطلب مني هذا.

إنكارنا : فلنفترض أنهم فعلوا؟

بيثينتي : سأجد لك حجرة أخرى.

إنكارنا : (خيبة أمل في صوتها). مكتب ... آخر؟

بيثينتي : لِمَ لا؟

إنكارنا : (بعد لحظة). لكي أنام في فراش مديرٍ آخر؟

بيثينتي : (حاد) بإمكاني أن أجد لك وظيفة دون اللجوء إلى ذلك. لديّ أصدقاء.

إنكارنا : سيطردونني أيضاً.

بيثينتي : (يتنهّد ويتفحّص أوراقه.) هراء. لن تخرجي من هنا (ينظر إلى ساعته). هل انتهيت من الرسالة؟

إنكارنا : (تتنهد). نعم.

(تتّجه إلى الآلة الكاتبة. تأخذ الرسالة وتحملها إليه. بيثينتي يراجعها).

بيثينتي: يا امرأة! (يمسك قلماً أحمر).

إنكارنا : (خائفة). تُكتب كلمة «مدهش espléndido» بحرف «s»! أنا متأكّدة من ذلك!

بيثينتي: و**«**عفوي espontáneo**»** كذلك**.**

إنكارنا: expontáneo عفوي؟

بيثينتي : أنت تلفظينها الآن بالـ**«**X» ولكن هذا غير صحيح**.**

(يشطب بالقلم**).**

إنكارنا: (عابسة**).** لا أصلح للعمل**.**

بيثينتي : بلى أنت تصلحين له وجديرة به**. (**ينهض ويأخذها من ذقنها**).** على الرغم من هذه الأخطاء، فإنك تتحسّنين**.**

إنكارنا: (خجولة**).** أأحرّرها مرة أخرى؟

بيثينتي: اتركيها إلى الغد**.** هل أنهيت رواية بيلتران؟

إنكارنا: تركتها لك هنا**.**

(تتوجه إلى خزانة الملفات وتأخذ كتيباً وتسلّمه إياه**).**

بيثينتي: (يتصفّح**).** من الواضح أنك وجدتها**...** مدهشة**.**

إنكارنا : نعم، وهذه المرة بحرف **«**s**»**.

بيثينتي: تحمّستِ وبكيتِ**..**

إنكارنا: هو كذلك**.**

بيثينتي : لا أستغرب، إنها رواية مفرطة بالعاطفية.

إنكارنا : ولكنها... ، أعجبتك أيضاً.

بيثينتي : وما زالت تعجبني. إنها من أفضل ما لدينا. غير أنه في روايته الأخيرة تجاوز حدَّ المعقول... (يجلس ويضع الكتيب في درج من أدراج الطاولة). الأدب مهمة معقّدة يا إنكارنيتا[1]. لا بدّ من رسم الحياة، ولكن رسمها وهي مجردة من تفاهتها. والحياة تافهة. لحسن الحظ! (يهمّ بأخذ كومة المجلات المتراكمة فوق بعضها). البطاقات البريدية، المجلات... (يلتقط المغلف). وما هذا؟

إنكارنا : مسودات الطباعة لأخيك.

بيثينتي : آه، صحيح! انتظري لحظة. أريد مراجعة إحدى مقالات العدد القادم (يسحب المسودات). ها هي. (تجلس إنكارنا على كرسيها). نعم، يا إنكارنيتا. الأدب معقّد. بيلتران، على

---

(١) يستخدم أسلوب التصغير في اللغة الإسبانية مع الاسم عن طريق إضافة اللاحقة (إتا) وذلك لإبراز الحنان أو الحب كما هو الحال في إنكارنيتا. (المترجم).

سبيل المثال، يكتب مراراً : «تفكر فلانة في هذا أو ذاك...» وهذه تقنية مستهلكة (يقصد المسوَّدة). إلا أن هذا الأبله يمدحه... وهذه التقنية يمكن تبريرها فقط حينما تسأل إحدى الشخصيات شخصية أخرى: «بماذا تفكّر؟»...

(تنظر إنكارنا إليه والهواجس تنتابها. أما هو فيركز على القراءة. تتوقف إنكارنا عن النظر إليه وتشرد. تنار الواجهة الأمامية تدريجياً. تدخل من الجهة اليمنى عاهرة، تعبر الخشبة وتقترب من مائدة المقهى. يوحي مظهرها، بشكل جلي، أنها عاهرة رخيصة ناهزت الأربعين من عمرها. تجلس إلى مائدة المقهى، تستلّ من حقيبتها علبة دخان وتسحب منها سيجارة. يدخل نادل نحيل كبير السن من الجهة اليسرى. تظهر عليه علامات التعب، يرفع رأسه رفضاً ويشير بإصبعه إلى العاهرة بالخروج. تنظر إليه بتلاعب وتمدُّ ذراعيها نحو الطاولة وكأنها تقول: «أريد أن أتناول كأساً». يرجع النادل إلى رفع حاجبيه رفضاً ويكرر، بهدوءٍ، إشارته إليها بالخروج. تتنهد العاهرة، تحفظ سيجارتها دون أن تكون قد أشعلتها وتقف. تعبر الخشبة

صوب اليمين وتقف بهيئة تدل على مللها، ثم تستند إلى الحائط المقشر. يرفع بيثينتي بصره وينظر إلى إنكارنا).

وأنت بماذا تفكرين؟ (إنكارنا، شاردة الذهن لا تجيب)... إيه!

(لا تسمعه إنكارنا. يشعل بيثينتي سيجارته بفضول مرح وهو يحدّق بها. بكلمة «هيَّا» على الشفاه، وإشارة أقوى، يهدِّد النادل العاهرة بالابتعاد. بكلمة «سأفعل» استهزائية، تخرج من الجانب الأيمن. يمسح النادل مائدة المقهى ويخرج من الجهة اليسرى. تخفيف تدريجي للإنارة في الواجهة الأمامية. ينادي بيثينتي إنكارنا بسخرية).

بماذا تفكرين يا فلانة؟

إنكارنا : (مرتاعة). فلانة؟

بيثينتي : لقد تحولت الآن إلى شخصية روائية. كنت تفكرين في شيء ما.

إنكارنا : لا شيء.

بيثينتي : نتناول العشاء معاً؟

(يعود إلى قراءة المسوَّدة).

إنكارنا : أنت تعرف أنني أتناول العشاء يومي الخميس والجمعة مع صديقة لي من القرية.

بيثينتي : صحيح. اليوم الخميس. ذكّريني غداً أن أتصل بالسيد «مورينو»، من الضروري أن أطلب منه مقالاً للعدد القادم.

إنكارنا : ولكن ألم يكتمل العدد بعد؟

بيثينتي : هذا المقال غير صالح للنشر.

(يفصل المسوَّدة التي كان يقرؤها ويحتفظ بها).

إنكارنا : **(**وهي تغطي الآلة الكاتبة**)**. أيّ واحدة؟

بيثينتي : مقال «توريس».

إنكارنا : عن إيوخينيو بيلتران؟

بيثينتي : نعم، هو. **(**ينهض**)**. أأوصلك إلى البيت؟

إنكارنا : لا. هل أنت ذاهب إلى والديك؟

بيثينتي : ومعي هذه القمامة كلها. **(**يضرب كومة المجلات ويأخذ مجموعة البطاقات البريدية مبتسماً**)**. ستعجب هذه

البطاقة أبي. تظهر فيها صورة أناس يمشون في الشوارع وهذا يعجبه جدّاً. (يتفحّص البطاقات). ضوء نهاري يغمر غرفة الجلوس ببطء. تصبح حركات الموجودين فيها عادية السرعة. يظهر الأب جالساً أمام الطاولة، يقصّ شيئاً من مجلة قديمة. إنه رجل كبير السن، شائب الشعر، يفوق عمره الخمس والسبعين سنة. ابنه ماريو، الذي يبلغ عمره خمسة وثلاثين عاماً، يصحّح مسوّدات. كلاهما يرتدي ثياباً فقيرة غير مرتبة. يرتدي الأب بذلة بالية، وبُرنس حمام قديماً؛ ويرتدي الابن سروالاً داكن اللون وكنزة. يتّكئ بيثينتي على حافة الطاولة).

كان يجب عليّ زيارتهم من حين إلى آخر، ولكنني مشغول جداً... أما هم، فعلى العكس، ليس لديهم ما يفعلونه. وحتى الآن لم يعرفوا الخروج من تلك البئر... من حسن الحظ أن أبي المسن أصبح مرحاً. (يضحك وهو ينظر إلى البطاقات). هل أخبرتك قصة الكاهن؟

إنكارنا : لا.

بيثينتي : قابل والدي يوماً كاهن الأبرشية، وقد كان في صحبته رفيقة من رفيقات الأبرشية، فسأله أبي على سبيل المجاملة... هل هذه المرأة زوجتك؟ **(يضحكان).** كان رفقته السيّد أنسيلمو، الذي كثيراً ما يرافق أبي، ولكن لم يسبق له أن خالفه الرأي قط.

إنكارنا : ولكن... أهو مجنون؟

بيثينتي : ليس جنوناً، بل هي الشيخوخة. وهذا أمرٌ عادي: إنه تصلّب الشرايين . الآن سيكون أكثر استقراراً في المنزل، خصوصاً بعد أن أهديتهم تلفازاً، الشهر الفائت. **(يضحك).** يجب ألا يفوتك ما يقوله كبير السن هذا. **(يرمي بطاقة بريدية على المكتب).** لن تعجبه هذه، فهي تخلو من الناس.

(يشرد في ذهنه. يُسمع ضجيج قطار بعيد، ينطلق، ويصفّر فتزداد سرعته. صخبه وصفيره يقتربان بقوة في بضع ثوان. ما إن تخف الضجة، حتى يبدأ الأب كلامه في غرفة الجلوس. بعد دقائق قليلة يتلاشى الضجيج في بعد وهمي**).**

الأب : **(**يستعرض قطعة من مجلة كان قد قصها**)** هذا أيضاً يستطيع أن يصعد.

(يتوقف ماريو عن عمله وينظر إليه**)**.

ماريو : إلى أين؟

الأب : إلى القطار.

ماريو : أي قطار؟

الأب : **(**يشير أمامه**)** هذا.

ماريو : هذا منور.

الأب : وأنت ما أدراك...

(يتصفح المجلة**)**.

إنكارنا : **(**محتارة بسبب صمت بيثينتي**)**. ألن نغادر؟

(شارد الذهن، بيثينتي لا يرد. وهي تحدق به بفضول**)**.

ماريو : **(**كان لا يزال ينظر إلى والده**)** سيأتي بيثينتي اليوم.

الأب : مَن بيثينتي؟

ماريو : أليس لك ابن يدعى بيثينتي؟

الأب : بلى، البكر. لا أدري إن كان حياً.

ماريو : ولكنّه يأتي شهرياً.

الأب : وأنت؟ مَن تكون؟

ماريو : أنا ماريو.

الأب : اسمك كاسم ولدي؟

ماريو : أنا ولدك.

الأب : ولكن ماريو كان أصغر.

ماريو : لقد كبرت.

الأب : إذاً، الآن بإمكانك الصعود بشكل أفضل.

ماريو : إلى أين؟

الأب : إلى القطار.

(يبدأ يقص صورة أخرى من المجلة. ينظر ماريو إليه باهتمام، ثم يعود إلى عمله.**)**

بيثينتي : **(**ينفعل ويحمل كومة المجلات**)**. فلنذهب.

إنكارنا : هذا ما كنت أسألك إيّاه.

بيثينتي : (يضحك) لقد كنت شارداً في الغيوم، مثل أيّ شخصية من شخصيات بيلتران. (يضع في حقيبته المجلات، والبطاقات البريدية والظرف. تأخذ إنكارنا محفظتها وتتّجه صوب الطاولة حيث تلتقط البطاقة المتروكة عليها. يصل بيثينتي إلى الباب، ويلتفت وراءً وينظر إليها).

هيا بنا.

إنكارنا : (وهي تنظر إلى البطاقة) كم أودُّ التعرف إلى والديك!

بيثينتي : (ببرودٍ). لقد سبق وقلتِ لي ذلك.

إنكارنا : لست أطلب منك أي شيء... وقد لا أقول لك هذا مرة أخرى. (بصعوبة). ولكن، لو كان لنا ولد... أكنت ستحميه؟

بيثينتي : (يقترب منها بنظرة قوية). هل هو على الطريق؟

إنكارنا : (تحرف نظرها عنه). لا.

بيثينتي : (يصوب لها رأسها وينظر في عينيها). لا؟

إنكارنا : (تريد أن تقنعه). كلا!

بيثينتي : الإهمال في هذه المرحلة سيكون بمنزلة حماقة كبيرة.

إنكارنا : إن وُلد فهل كنت ستحميه؟

بيثينتي : أعرفكِ، يا صغيرة، وأعرف ما تنوينه.

إنكارنا : حتى لو لم نتزوج، هل كنت ستحميه؟

بيثينتي : (بنبرة جافة) بما أننا لن ننجبه فلا جدوى من هذا السؤال. هيا بنا نمشي. (يتجه نحو الباب ثانية)

إنكارنا: (تتنهّد وتعقّب بلا جدوى). ظننت أن أباك سيُعجَب بهذه الصورة. إنه قطار لافت للأنظار، عمره ثلاثون سنة.

بيثينتي : إنها تخلو من الناس.

(تترك إنكارنا البطاقة البريدية وتخرج من العمق، ويغادر خلفها بيثنتي ويغلق الباب. يعود ضجيج القطار. يندثر ضوء المكتب. يتوقف ماريو عن عمله ويحدّق مليّاً بأبيه الذي رفع رأسه وراح بدوره ينظر إلى ابنه. يتلاشى ضجيج القطار. يقف الوالد ويأخذ دميتيه المقصوصتين معه ويتجه نحو خزانة الأدراج التي في العمق).

الوالد : **(**يهمس وهو يفتح الدرج**).** على هؤلاء أن ينتظروا في قاعة الاستقبال. **(**يترك المقصوصتين ويقلّب محتويات الدرج ويسحب منه بطاقتين بريديتين**).** سوف أقص هذه الآنسة الجميلة. **(**يدندن في أثناء عودته إلى الطاولة**):**

روسيتا ممشوقة القوام

بيثينتا بهيئة الحُلّة

(يجلس ويبدأ قصّ البطاقة**).**

ماريو : لماذا تقصّها يا أبي؟ أليس من الأفضل تركها في البطاقة؟

الأب : **(**دون النظر إليه**).** فقط عندما يوجد فيها صور الناس، عندئذٍ لو قصصت صورهم لمزّقتهم، لأنهم يوجدون فوق بعضهم البعض. ولكنني أحاول الاعتناء بهم جميعاً، لذا أنقذ من أستطيع إنقاذه.

ماريو : ممَّ؟

الأب : من البطاقة البريدية. **(**يتابع عملية القص. ينفتح باب البيت وتدخل الوالدة وفي يدها طرد. إنها امرأة لطيفة

وخفيفة الحركة، تبدو في الخامسة والستين من عمرها.
يتوقف الوالد عن قص البطاقة).

مَنْ عند الباب؟

ماريو : إنها أمي.

(تدخل الأم إلى المطبخ).

الأب : (يتابع القص وهو يدندن): لا بيبيكا جميلة جداً...

ماريو : أبي!

الأب : (ينظر إليه). ما بك؟

ماريو : عن أي قطار تتحدث؟ عن أيّ قاعة استقبال؟
لم نتحدث عن أي قطارٍ قط!

الأب : عن ذلك القطار. (يشير إلى الأمام).

ماريو : لا قطار هناك!

الأب : هل أنت بليد يا سيّد؟ ألا ترى نافذته؟

(ينظر ماريو إليه ويعود إلى عمله. تخرج الأم من المطبخ بالطرد وتدخل غرفة الجلوس).

الأب : **(ينهض وينحني).** سيّدتي...

(يتجه إلى خزانة الأدراج ويفتح الطرد).

الأم : **(تنحني بنوع من الفكاهة).** سيّدي...

الأب : تفضلي وارتاحي، حضرتك في بيتك.

الأم : **(تكتم ضحكتها).** أشكر لطفك الكبير.

الأب : أستأذن منك سيّدتي، سأتابع عملي.

الأم : تفضل. **(يعاودان التحية. يجلس الوالد ويقص. ماريو، الذي لم يضحك لما حدث، يشعل سيجارة).** لم تعد الفطائر كما كانت في السابق، إلا أنّ شقيقك لا يزال يحبّها. ليته يبقى لتناول العشاء عندنا...

ماريو : لن يفعل.

الأم : إنه مشغول جداً. يكفي حالياً أنه يأتي ليعطينا الظرف كل شهر. **(**كانت الأم تضع الفطائر على صينية وهي تتكلم**).**

ماريو : ربّما طردوا الشغيل من الخدمة. **(تنظر الأم إليه منزعجة.)** أتعرفين أنه يملك سيارة؟!

الأم : (مسرورة)**.** حقاً؟ هل رأيتها عنده؟**!**

ماريو : قيل لي**.**

الأم : هل سيارته كبيرة؟**!**

ماريو : لا أعرف**.**

الأم : قد يأتي بها اليوم**!**

ماريو : لا أعتقد أن تصل به الأمور إلى هذه الدرجة**.**

الأم : معك حق، إنه موضوع حساس**.** (ينظر ماريو إليها بدهشة خفيفة ويعود إلى عمله**.** تدنو منه وتكلمه بصوت منخفض)**.** اسمع**...** هل ستقول له ما فعله أبوك؟

ماريو : ربّما لن يسأل**.**

الأب : سينتبه إلى ذلك**.**

ماريو : إن انتبه فسأقول له**.**

الأب : (ينهض ويتجه نحو خزانة الأدراج) السيدة الجميلة أصبحت جاهزة، إلا أنني لا أعرف من هي**.**

الأم : (تضحك)**.** إنها سيدة حلوة**.** ألا يكفيك هذا؟

الأب : **(**بغضبٍ مفاجئ**)** كلا، لا يكفي**!**

(يفتح الدرج بشكل فظ ويضع الدمية فيه**).**

الأم : **(**بصوت خافت**).** منذ أيام وهو يتصرف بشكلٍ غير معقول**.**

الأب : عجباً**!** حلويات**!** **(**يذهب ويأخذ فطيرة**).**

الأم : اتركها إلى أن يأتي بيثينتي **!**

الأب : ولكنني أنا بيثينتي**!**

الأم : ستذوقه فيما بعد**.** **(**تُبعده**).** هيا عد إلى بطاقاتك، تبدو كالطفل**.**

الأب : **(**يقاوم**).** انتظري**.**

الأم : أقول لك، هيا**!**

الأب : أريد أن أقبّلك**.**

الأم : **(**تضحك**).** أوه**!** عجباً من أين يأتي بهذه الأشياء هذا العجوز الهرم**!.**

الأب : **(**يمسكها من وجهها**).** أعطيني قبلة**...**

الأم : (تموت ضحكاً). ابتعد عني أيها الساذج!

الأب : جميلتي!

(يقبّلها).

الأم : أيها المقرف! ألا تخجل وأنت في هذا العمر؟!

(تبعده عنها ولكن الوالد يخفض رأسه على صدرها في حين تنظر هي إلى ابنها وعلى وجهها ملامح العجز).

الأب : غنّي لي أغنية، يا حلوة.

الأم : أيّ أغنية؟! متى غنّيتُ لك أغنية؟!

الأب : عندما كنتُ صغيراً.

الأم : لعلها كانت أمك. (تدفعه). ابتعد عنّي قبل أن تخنقني!

الأب : ألستِ أنتِ أمي؟

الأم : (تضحك). نعم يا بني. رغماً عني، هيا اجلس وقصّ.

الأب : (مطيعاً بسهولة) حسناً.

(يجلس ويتشمم مجلاته).

الأم : حذار المقصّ أن يجرحك!

الأب : حسناً يا أمي.

(يشق ورقة ويبدأ يقصها).

الأم : أوف... أمي! قد أصبح بعد دقيقة الأميرة إيزابيل.

(يرن جرس البيت). بيثينتي!

(تركض إلى عمق الخشبة. ينهض ماريو ويقترب من والده).

ماريو : إنه بيثينتي يا أبي. (لا يكترث الأب لذلك. تفتح الأم الباب وترتمي بين ذراعي ابنها). صغيري بيثينتي!

(ينهض ماريو وينتظر واقفاً إلى جانب أريكة والده).

الأم : بيثينتي! ولدي!

بيثينتي: أهلاً يا أمي.

(يتبادلان القبلات).

الأم : (تقفل الباب وتعانق ابنها من جديد). صغيري بيثينتي!

بيثينتي: (ضاحكاً) أمي أرجوك! كأني عائد من القمر!

الأم : حتى الآن لم أعتد بعد عدم رؤيتك يومياً يا بني!

(تمسكه من ذراعه ويدخل الاثنان إلى غرفة الجلوس**).**

بيثينتي: مرحباً ماريو**!**

ماريو : مرحباً**! (**يضربان كفّيهما بطريقة مألوفة بينهما**).**

الأم : **(**للأب**).** انظر من وصل**!**

بيثينتي: كيف تسير أمورك يا أبانا؟

الأب : لماذا تناديني أبانا؟ لست راهباً**.**

بيثينتي: **(**يقهقه**)** يبدو أن لا جديد لديك**!** عليك أن تعرف أنني جلبت لك أشياء جميلة جداً**. (**يفتح حقيبته**).** مجلات وبطاقات بريدية**.**

(يضعها على الطاولة**).**

الأب : أشكرك جزيلاً على لطفك أيها السيد**.** لقد بدأت أشعر بالوحدة، وليس من الجيد أن يكون المرء وحيداً**.**

(يتصفح إحدى المجلات**).**

بيثينتي: **(**مبتسماً**)** الآن صار لديكم صحبة**! (**يقترب من خزانة الأدراج**)** يا إلهي**!** الفطائر**!**

الأم : **(سعيدة).** سأجلب لك القهوة حالاً. هل ستبقى لتناول العشاء؟

بيثينتي : ولا دقيقتين زيادة! لدي عمل كثير.

(يجلس على الأريكة).

الأم : **(خائبة الأمل).** اليوم أيضاً؟

بيثينتي: أنا آسف جداً يا أمي.

الأم : لو كنت، على الأقل، تزورنا أكثر.

بيثينتي: أزوركم مرةً كل شهر.

الأم : نعم، أكيد. سأذهب لأعدَّ القهوة.

(تهمُّ بالمغادرة).

بيثينتي: **(ينهض ويخرج ظرفاً أزرق اللون)** خذي قبل أن أنساه.

الأم : شكراً يا بني. في الوقت المناسب. ينبغي علينا دفع قسط الغسالة غداً.

بيثينتي: الآن فكّري في شراء ثلاجة.

الأب : كلا، لم يحن الوقت لذلك بعد.

بيثينتي: ما المشكلة في ذلك ما دمت موجوداً! (تنظر أمه إليه متأثرة، وفجأة تقبّله ثانيةً ثم تنطلق إلى المطبخ للانزواء فيه). لقد جلبت لك مسودات.

(يسحب ظرفاً من حقيبته. يأخذه ماريو بصمت ويذهب به إلى طاولته الصغيرة ويضعه عليها. في هذه الأثناء يقف الوالد وينظر إليهما متوهّماً الأمر على غير حقيقته. يخطو خطوتين، ويشير إلى الطاولة).

الأب : من هذا الشخص؟!

بيثينتي: ماذا؟!

الأب : هذا الذي يرتدي قبعةً.

بيثينتي: ماذا يقول؟

(لقد فهمه ماريو. يسحبه الوالد من يده ويأخذه إلى الطاولة ثم يضع إصبعه على البطاقة البريدية).

الأب : هنا.

بيثينتي: (يقترب منهما) إنها ساحة الأوبرا، في باريس. والجميع يرتدي قبعة؛ إنها صورة قديمة.

الأب : هذا.

بيثينتي: ولكن يكاد لا يُرى! إنه أحد المارّة آنذاك، مثل هؤلاء جميعاً. شخص لا على التعيين.

الأب : (بشدّة). كلا.

بيثينتي: كيف يريد منا أن نعرف من يكون هذا الشخص؟ إنه لا أحد!

الأب : أجل.

ماريو : (بهدوء) لقد مات.

الأب : (ينظر إليه مذعوراً) ماذا تقول؟ **(يبحث بين المجلات ويأخذ عدسة).**

بيثينتي: عدسة؟

ماريو : كنت مضطراً لشراء واحدة له، ليست المرة الأولى التي يطرح فيها هذا السؤال.

(يجلس الوالد وهو يحدق بالبطاقة مستخدماً عدسة).

بيثينتي: (بصوت معتدل). هل تتدهور صحته؟

ماريو : لا أعرف.

الأب : لم يمت. وهذه المرأة التي تعبر الشارع... من هي؟ (ينظر إليهما). طبعاً، أنتما لا تعرفان. أما أنا فنعم.

بيثينتي: نعم؟ والسيّد الذي يرتدي قبعة؟

الأب : (بجدية). أيضاً.

بيثينتي: إن كنت تعرف، فلماذا تسألنا؟

الأب : لأختبركما.

بيثينتي: (يدير ظهره ويكبح ضحكته). يظن نفسه إلهاً.

(ينظر إليه الوالد لحظة ويعود ليركّز في البطاقة. ترتسم على وجه ماريو أمارات الموافقة على ما يقوله بيثينتي. تخرج الأم من المطبخ حاملة صينية مليئة بالفناجين).

الأم : (وهي تسير في الممر). متى ستتزوج يا بيثينتي؟

الأب : (محدقاً في البطاقة البريدية.) لقد تزوجتُ مرةً.

الأم : (بينما يضحك الابن البكر). أكيد. وأنا مرة أخرى. (ينظر الأب إليها). لست أكلمك أنت يا أبله! (تضع الصينية

وتوزع الفناجين على الطاولة). واترك دُماك الورقية، وتعال لنتناول هذه الوجبة الخفيفة! خذ هذه القطعة الصغيرة لك، فالحليب يضرك. (تضع فنجاناً أمامه. تنتزع منه العدسة والبطاقة البريدية. ينظر إليها ولا يعترض على ما تفعله. تجمع البطاقات البريدية والمجلات، وتحملها إلى خزانة الأدراج). اجلس يا بني.

(يجلس بيثينتي إلى طاولة السفرة) وأنا سأجلس إلى جانبك كي لا تلطخ نفسك. (تضع الفطائر على السفرة). خذ فطيرة يا بني!

بيثينتي : شكراً.

(يتناول فطيرة ويبدأ يأكل. يتناول ماريو فطيرة أخرى)

الأم : (جالسة قرب زوجها تعطيه فطيرة). خذ! ألم تكن تريد واحدة؟ (يأخذها الوالد). بلِّلها! (يبللها الوالد). لم ترد عليّ يا ولدي. ألست مهتماً بفتاةٍ ما؟

بيثينتي : بالعديد.

الأم : يا مقرف!

الأب : من أين آكل هذه؟

الأم : عضَّ حيث بللتها!

الأب : بماذا أعضها؟

الأم : بفمك! (يدني الوالد الفطيرة من عينيه). الفم! الفم! لا أحد يستطيع التغلب عليك. (تنتزع منه الفطيرة وتبدأ تطعمه إياها كأنه طفلٌ صغير، وهي تمس شفتيه قبل كل لقمة كي يفتحهما). خذ!

بيثينتي : أَبلغَ الجنون به هذا الحد؟

ماريو : أحياناً يعرف وأحياناً ينسى.

الأم : خذ فطيرة أخرى يا بيثينتي.

الأب : «بيثينتي» أهذا اسمك؟

بيثينتي : نعم.

الأب : يا للمصادفة! اسمك مثل اسمي. (بيثينتي يضحك).

الأم : (إلى الأب). كُلْ وكُفَّ عن الكلام.

(تعرض عليه لقمة ثانية).

الأب : لا أريد المزيد. من سيدفع الحساب؟

الأم : (بينما بيثينتي يستمر في الضحك). لقد دُفعت الفاتورة. خذ...

الأب : (يرفض اللقمة ويقف غاضباً) لا أريد المزيد. أنا ذاهب إلى بيتي!

الأم : (تنهض في محاولة منها لإيقافه). كيف وأنت في بيتك!

الأب : هذا مطعم!

(يحاول إبعاد زوجته جانباً. يقف بيثينتي).

الأم : اسمع...

الأب : عليّ العودة مع والديّ. (يذهب إلى العمق).

الأم : (تمشي خلفه، وتقول لبيثينتي). سامحني يا بني. يجب ألا يبقى وحده.

الأب : (في الممر). أين الباب؟

(يفتح باب غرفة نومه ويدخل. تدخل الوالدة وراءه وتغلق الباب. يخطو بيثينتي خطوتين إلى الممر، ثم يعود نحو أخيه، الذي بقي جالساً ولم يقف).

بيثينتي : في الماضي لم يكن يغضب إلى هذا الحد.

ماريو : (لا مبالٍ) لن يبقى طويلاً على هذه الحالة. (ينهي فنجانه ويمسح فمه). كيف تسير سيارتك؟

بيثينتي : آه ! ها أنت تعرف؟ إنها شيء عادي مع أنها تبدو شيئاً عظيماً ولاسيما أنها أصبحت ضرورية في أيامنا هذه.

ماريو : (بجدية) أجل. التطور الاقتصادي.

بيثينتي : هذا هو. (يقترب منه) وأنت؟ كيف أمورك؟

ماريو : إنني أترقى. لقد كلفوني الآن بتنقيح الأسلوب في عدة كتب.

بيثينتي : هل لديك خطيبة؟

ماريو : لا.

(تدخل إنكارنا من الجهة الأمامية اليسرى. يتناول بيثينتي فطيرة أخرى، وفي أثناء أكلها يعود إلى الممر لكي يستمع. تنظر إنكارنا إلى ساعتها، وتجلس إلى مائدة المقهى وهي تنظر إلى اليمين كأنها تنتظر أحداً).

بيثينتي : يبدو أنه قد أصبح أكثر هدوءاً.

ماريو : قلت لك.

بيثينتي: **(**ينظر إلى ساعته. يعود إلى غرفة ويحزم حقيبته**)** لقد تأخّر بي الوقت... **(**يدخل النادل من الجهة اليسرى، يتبادل بضع كلمات مع إنكارنا بصوت خافت ويغادر**)**. عليّ أن أودّعهم.

(يتجه بيثينتي نحو الممر**)**.

ماريو : كيف تجد والدنا؟

بيثينتي: **(**يلتفت إليه مبتسماً**)**. مسلياً جداً. كانت قصة المطعم لطيفة... **(**يدنو منه**)**. ألم يخطر في باله أي فكاهة لها علاقة بالتلفاز؟

ماريو : في الحقيقة... **(**يلتفت بيثينتي حوله**)**.

بيثينتي: أين وضعتموه؟ وضعوه هنا...

(تنظر إنكارنا إلى ساعتها، تخرج كتاباً من محفظتها وتبدأ قراءته**)**.

ماريو : هل رأيت كيف انتفض وغضب؟

بيثينتي: ماذا تريد أن تقول؟

ماريو : أصبح سريع الغضب مؤخراً...

بيثينتي: صحيح؟

ماريو : في الأيام الأولى لم يقل شيئاً. كان يجلس أمام التلفاز ويلتفت من حين إلى آخر نحو أمي التي كانت تعلّق على البرامج كلها بفرحٍ شديدٍ، تخيّل. في بعض الأحيان كان يبدو مضطرباً فيذهب إلى غرفته دون أن يتفوه بأيّ كلمة. ذات ليلة نقلوا برنامج **«معجزة إلتشي»** واهتم للأمر كثيراً. فجأة، وسط البث، قُطع البرنامج لعرض دعايات الغسالات، والمشروبات، وأدوات تنظيف... لحظة انتباهنا إليه كان يضرب الشاشة بالكرسي ، ودمّر الجهاز.

بيثينتي: ماذا؟

ماريو : حدثَ انفجارٌ ضخم. لحسن الحظ أنه لم يُصَب، إلا أنه لم يبق من التلفاز سوى الحطام... لم تتجرأ والدتنا أن تقول لك ذلك.

(يخيّم الصمت. يعود النادل إلى مائدة المقهى ويصب قهوة بالحليب لإنكارنا).

بيثينتي: (مفكراً). لم يكن يؤمن كثيراً...

ماريو : لا.

(يخيم صمت. تضع إنكارنا قطعتي سكر، وتحتسي من الفنجان ثم تعود إلى القراءة).

بيثينتي: (ينفعل). في واقع الأمر إنه لا يدري ما يفعله.

ماريو : عليك أن تعترف بأن ما فعله الوالد يحمل معنىً.

بيثينتي : ربّما كان هذا التصرف يحمل معنى لو فعله شخصٌ آخر غيره، ولكن لا معنى لهذا التصرف عنده.

ماريو : لماذا لا معنى لهذا التصرف عنده؟

بيثينتي: إنه يعاني من تصلب متقدِّم في الأنسجة، وهذا أمر فيزيولوجي. لذا فإن ردود أفعاله مجنونة، ولا يمكن أن تكون بغير طريقة.

ماريو : أحياناً تبدو تصرفاته شيئاً آخر **(إيماء يدل على عدم تصديق بيثينتي).** أنت نفسك قلت إنه يرى نفسه إلهاً...

بيثينتي: كنت أمزح!

ماريو : أنت لم تراقبه مثلي.

بيثينتي: وأنت أيضاً ستصاب بالجنون يا ماريو؟ لكنّ جنونك هو تصلب شرايين دماغي سبّبه الخرف!

ماريو : ليس خرفاً بأكمله.

بيثينتي: لم أفهم.

ماريو : لقد تحدث الطبيب مؤخراً عن عامل إعاقة محتمل.

بيثينتي: هذا جديد... أي عامل؟

ماريو : لا أدري... بعد فحص صحته الجيدة عموماً، استغرب الطبيب إلى أي درجة تقدَّم الأمر. عمر والدنا الآن سبعة وسبعون عاماً، وهو على هذه الحالة منذ أربعة أعوام.

بيثينتي: لقد حدث الأمر نفسه مع أشخاص آخرين كانوا أصغر منه سناً.

ماريو : إلا أن هذا حدث معه لأول مرة منذ وقتٍ بعيد.

بيثينتي: ماذا؟

ماريو : سألنا الطبيب عن ذلك، عندها تذكرتُ شيئاً من هذا القبيل. لقد حدث عندما كنت أنت قد انتهيت للتو من الخدمة العسكرية، وكنت قد غادرت البيت...

بيثينتي: ماذا حصل؟

ماريو : استيقظ إحدى المرات ليلاً ومشى من هنا قائلاً بعض الحماقات... كان عمره آنذاك سبعة وخمسين عاماً فقط. كانت أمي نائمة، أما أنا فكنت مستيقظاً.

بيثينتي: لم تقل لنا هذا من قبل.

ماريو : بما أنه لم يعد يتكرر إبان سنوات عديدة، فقد نسيته تقريباً.

(يخيم صمت).

بيثينتي: **(يتمشى).** قد يكون مرضاً وراثياً، من يدري؟ على كل حال، أنا لا أرى أن تصرفاته تحمل معنىً... إنه مثل طفلٍ يقول حماقات.

ماريو : لست متأكداً... لقد اخترع ضروباً من الجنون جديدة... لقد رأيتَ لتوك واحداً: السؤال عن أي شخص في أيّ بطاقة بريدية.

(ينهض ويمشي إلى الأمام ويقف مقابل المنور غير المرئي).

بيثينتي : (يضحك**)** بالنسبة له، لكي يختبرنا. إنه مضحكٌ.

ماريو : أجل، أمرٌ محيّر. هل تذكر لعبتنا عندما كنا أولاداً؟

بيثينتي : أيّ لعبة؟

ماريو : كنا نفتح نافذة المنور لرؤية أقدام المارة ونتخيل أشكال الأشخاص.

بيثينتي : (ضاحكاً**)**. لعبة الحزورة... لقد نسيتها!

ماريو : منذ أن كسر جهاز التلفاز، يحب أن نفتح له نافذة المنور ويرى الناس... إنه أمرٌ مشابه تقريباً للعبتنا، لأنني دائماً أكون معه...

بيثينتي : (متمشياً**)**. كما في السينما.

ماريو : (دون الالتفاف**)**. أما هو فيطلق عليه اسماً آخر. قال اليوم إنه قطار.

(يقف بيثينتي بشكل حادٍ وينظر إلى أخيه. صمت قصير. تخرج الوالدة من غرفة النوم وتعود إلى غرفة الجلوس).

الأم : سامحني يا بني، لقد أصبح الآن هادئاً.

بيثينتي: أنا ذاهبٌ يا أمي.

الأم : بهذه السرعة؟

بيثينتي: بهذه السرعة؟! لقد تأخرت.

ماريو : (التفت عندما سمع صوت أمه) وأنا ذاهبٌ أيضاً.

بيثينتي: أوصلك معي؟

ماريو : سأرافقك إلى زاوية الشارع فقط طريقي قريبٌ من هناك.

الأم : وأنا أيضاً أرغب في ذلك، لكي أرى سيارتك. فليعرف الجميع أنك تملك سيارة... هل ركنتها عند الزاوية؟

بيثينتي: نعم، ولكنها ليست بالشيء العظيم.

الأم : هذا ما تقوله أنت. اركنها أمام البيت في المرة المقبلة... ولا تكن خجولاً... أكلت القليل من الفطائر...

بيثينتي: سأتناول الصينية بأكملها في يومٍ آخر. (يشير إلى الممر). هل أودّعه؟

الوالدة : دعه وشأنه، لئلا يرغب في المغادرة ثانيةً **(**تضحك**).**
هل تعرف من أين أصرَّ على الخروج من المنزل ؟ من باب الخزانة **!**

بيثينتي : **(**ضاحكاً، يوجه الكلام إلى شقيقه**).** ألم أقل لك؟ تماماً مثل الطفل**.**

(يحمل حقيبته ويمشي باتجاه الباب**.** يأخذ ماريو علبة الدخان ويتبعه**).**

الأم : عد قريباً يا بني**!**

بيثينتي: **(**في الممر**).** وعد**!**

(يفتح بيثينتي الباب ويداعب أمه في ذقنها بحنان ويخرج**).**

ماريو : **(**يخرج وراءه**)** إلى اللقاء يا أمي**.**

الأم : **(**من العتبة**)** مع السلامة**.**

(تغلق الباب بتنهدٍ، وتعود إلى غرفة الجلوس ثم تبدأ بأخذ بقايا الضيافة وتذهب لتختفي معها في المطبخ**.** تخفيف للضوء في غرفة الجلوس**.** ريثما تنتهي الأم من أعمالها المنزلية، يظهر الباحثان مجدّداً**.** إنكارنا، نافدة الصبر، تنظر إلى ساعتها وتحتسي جرعة أخرى**).**

هو : شبح الشخص الذي كانت تنتظره هذه المرأة سيتأخر دقيقة قبل الظهور.

هي : سنغتنم هذه الفرصة للتعليق على ما شاهدتموه.

هو : أرأيتم وقائع فحسب أم أنكم رأيتم أفكاراً أيضاً؟

هي : جميعنا يعرف أن أجهزة الكشف استطاعت منذ زمن بعيد التقاط الأفكار إلى درجة كبيرة بحيث إنها تمكنت من التقاطها على شكل صور. التجربة الحالية هي إحدى تلك الحالات؛ إلا أن بعض تلك المشاهد التي شاهدتموها يمكن أن تكون قد حدثت في الواقع، بالرغم من أن إنكارنا وبيثيتي قد تخيلاها في المكتب. ولا تنسوا أن بعض هذه الأحداث استمر في حدوثه، عندما توقف أولئك الذين بدوا أنهم يتخيلونها، عن التفكير فيها.

هو : توقفوا عن التفكير فيها؟ لا علم لنا بذلك. لن نستطيع أبداً أن نحدِّدَ- لا نحن ولا هم - إلى أي حدٍّ بلغ أعمق أنشطتهم العقلية.

هي : هل فكروا فيها إلى درجةٍ بدت لنا واقعية، وهي ليست كذلك؟

هو : هل أحسوا بها عند حدوثها وظنوا أنهم كانوا يتخيلونها؟

هي : أين الحدود بين الأشياء والواقع؟

هو : إنكم الآن تشاهدون تجربة واقعية بأكملها: أحداث وأفكارٌ متشابكة لا يمكن الفصل بينها.

هي : أحداث وأفكارٌ منقرضة وقعت قبل قرون.

هو : لم تنقرض تماماً إذ إننا قد اكتشفناها. (إلى إنكارنا). انظروا هذا الشبح كم يبدو لنا حيّاً يرزق!

هي : (تضع إصبعها على شفتيها). هدوء! ها قد ظهر الشبح الثاني. (يظهر ماريو خلفهما من جهة اليمين ويتقدم بضع خطوات وهو ينظر إلى إنكارنا). ألا يبدو لكم حياً عن حق!

(يخرج الزوجان. تزداد قوى الإنارة الأمامية. ترفع إنكارنا بصرها وتبتسم لماريو. يصل ماريو إليها ويصافحها. يجلس إلى جانبها، وهما لا يزالان متصافحين).

إنكارنا : **(بعذوبة)** لقد تأخرت.

ماريو : زارنا أخي.

إنكارنا : أعرف. **(تسحب يدها برفق. يبتسم ماريو باضطراب).**

ماريو : آسف.

إنكارنا : لماذا تأخرنا في التعرف إلى بعضنا البعض؟ في المرات القليلة التي كنت تذهب فيها إلى دار النشر لم تكن تنظر إلى أحد، وكنت تغادر على الفور... يكاد لا يعرف أحدنا عن الآخر شيئاً.

ماريو : **(بعد هزم مقاومتها، يعود ويمسك يدها مجدداً).** إلا أننا اتفقنا على أن نتحدث عن بعضنا.

إنكارنا : لا أحد يبوح بكل شيء.

(يظهر النادل مجدداً. تسحب إنكارنا يدها بقوة).

ماريو : بيرة لو سمحت. **(يوافق النادل وينسحب. يبتسم ماريو وصوته يرتعش).** لعله ظنَّ أننا مخطوبان.

إنكارنا : ولكنا لسنا كذلك.

ماريو : (ينظر إليها بفضول). إلى الآن نحن أصدقاء مؤتمنون فقط... هيا تحدثي.

إنكارنا : إذا لم يكن هناك حلٌّ آخر.

ماريو : (يبتسم لها). ليس هناك حلٌّ آخر.

إنكارنا : أنا... قروية الأصل. فقدت أمي عندما كنت طفلةً صغيرة. كانت عندنا قطعة أرض صغيرة، وكان أبي يعمل فلاحاً كلما استطاع ذلك. ولكن لمَّا تقلصت فرص العمل بحيث لم يعد أحد يعمل، اضطر والدي لبيع الأرض بثمن زهيد، لنأتي بعدها إلى هنا منذ ست سنوات.

ماريو : كحال العديد من الناس.

إنكارنا: كان أبي يقول دائماً: أنتِ سيكون لكِ مستقبل. بدأ يعمل هنا كعامل بناء، وهكذا قضى الليل والنهار من أجل قبول أعمال قليلة الشأن والأجر. اشترى لي آلة كاتبة، ومنهجاً، وكتباً... وكلما رآني أكنس، أو أشعل النار، أو أحمل ماءً - كنا نسكن في العشوائيات- كان يقول لي: «أنا سأفعل

ذلك، أما أنتِ فكرّسي وقتك للدراسة». كان يجب أن ألبس أحسن ما يمكن لبسه، وأن أقرأ كثيراً، وأن...

(تتوقف عن الكلام).

ماريو : وقد حقق ذلك.

إنكارنا : لكنه انتحر. كان يذهب إلى العمل متعباً جداً، بالكاد مستيقظاً، وسقط قبل ثلاث سنوات من على السقالة. (تلزم الصمت لحظة). وبقيت أنا وحيدة ومذعورة. قضيت سنة كاملة أبحث عن عمل، أنسخ أوراقاً، من فندق إلى آخر... وهكذا تعلمت أن أدافع عن نفسي... أؤكد لك هذا!... (بصوت معتدل). إلى أن بدأت أعمل في دار النشر.

(ينظر إليها خلسةً).

ماريو : لم تتعلمي الدفاع عن نفسك فحسب، بل تعلمتِ مواجهة الحياة بطريقة نظيفة، وهكذا كوَّنتِ نفسكِ. عليك أن تفتخري بذلك.

إنكارنا: (فجأة جافة) لا أرغب في مواصلة هذا الحديث.

(هو ينظر إليها، بفضولٍ. يعود النادل حاملاً كأس البيرة، يتركها أمام ماريو ويعود إلى الوراء**)**.

ماريو : الحساب كله عليّ.

(يعطيه ورقة نقود. يرد النادل الباقي وينسحب. يشرب ماريو رشفة**)**.

إنكارنا: وأنت، لماذا لم تدرس؟ أخواك الاثنان يملكان ثقافة واسعةً ولكن... أنت نفسك،... كان بإمكانك أن تؤدي أشياء كثيرة..

ماريو : **(**بسخرية**)** ثقافة واسعة؟ بمعجزة استطاع أخي اجتياز جزء من الثانوية؛ أما أنا فلم أسجل في الثانوية قط. كان عمري عشر سنوات عندما انتهت الحرب الأهلية. كان أبي يعمل في الوزارة وجرى تصفيته... عند عودتنا إلى مدريد كنا مُجبرين على اللجوء إلى أول مخبأ وجدناه: وهو ذلك القبو الذي لم نخرج منه إلى الآن. بمرور السنين، لمَّا استطاع أبي العودة إلى الوزارة، لم يعد يرغب في ذلك قط. أما أنا فرحت أواظب على القراءة، ولكن... كان عليّ أن أتحمل نفقة البيت.

إنكارنا: وشقيقك؟

ماريو : (ببرود). بقي معنا إلى أن طلبوه إلى الخدمة العسكرية، بعد ذلك، قرّر أن يعيش حياته وحيداً.

إنكارنا: الآن يساعدكم...

ماريو: أجل.

(يشرب).

إنكارنا : كان بإمكانك الترقي مثله... ربّما لو عملت في دار النشر...

ماريو : (حاد) لا أريد العمل في دار النشر.

إنكارنا: ولكن علينا أن نعيش.

ماريو : هذه هي معاناتنا، وهي أنه علينا أن نعيش.

إنكارنا: (توافقه، بعد دقيقة) اليوم على سبيل المثال...

ماريو : ماذا؟

إنكارنا: لست متأكدة. كما تعرف، ستتولى جماعة جديدة إدارة دار النشر.

ماريو : أعرف.

إنكارنا: أظن أنهم لن ينشروا رواية «بيلتران» الثانية التي سلّمها قبل أيام مع أنها رائعة. أنهيت قراءتها للتو! وقد أعجبتني كما أعجبت أخاك أيضاً!

ماريو : (مهتماً بالأمر بانفعال) ماذا حدث؟

إنكارنا: لقد تكلم أخوك بالهاتف مع «خوان» وجعلني أخرج من المكتب، ثم قال إن بيلتران أخطأ في روايته هذه، وسحب من بين المقالات التي أعطاك إياها اليوم مقالاً كان يتحدث عنه بشكل إيجابي.

ماريو : للجماعة الجديدة دورٌ في هذا. لقد حكموا عليه.

إنكارنا: لكنهم مدحوه في إحدى المرات!

ماريو : لكي يختبروا مدى صدقيته... وأخي غارقٌ في مثل هذه الأعمال الخسيسة. (يفكر). اسمعي، إنكارنا، عليك أن تراقبي وتقولي لي كل شيء له علاقة بهذه المناورة. علينا أن نساعد بيلتران!

إنكارنا: أنت مثله.

ماريو : **(غير مصدّق).** مثل بيلتران؟

إنكارنا: في تلك الطريقة الخاصة به بعدم طلب أي شيء، هنا في هذا العالم، حيث رأيت جميع الناس يتوسلون من أجل الوصول.

ماريو : لقد نجح في الترقّي دون أن تتلطخ يداه، وهذا نادراً ما يحدث **(يبتسم).** إلا أنني لا أملك موهبته. **(بجدية).** ولا حتى جودته. اسمعي ما حلمت به هذه الليلة. كانت هناك هاوية، وكنت أنا على طرف من طرفيها جالساً أراجع مسوداتي. في الطرف الآخر للهاوية كان هناك شخصٌ مجهولٌ مربوطٌ بحبلٍ من خصره، كان الحبل يمتد فوق الهاوية حتى معصمي، ودون أن أتوقف عن المراجعة كنت أشد الحبل وأقرّبه من حافة الهاوية، وعندما وصل إلى الحافة نفسها، شددت فجأة وأسقطته.

(يخيم الصمت).

إنكارنا: أنت أفضل رجل تعرّفته في حياتي، ولذا رويتَ لي القصة.

ماريو : رويتُ لك القصة لأني أود أن أسألك سؤالاً. **(**ينظر كل منهما إلى الآخر، خجولين. يحسم ماريو قراره**)**.

هل ترغبين أن تكوني زوجتي؟ **(**تحرف نظرها عنه**)** هل كنت تتوقعين هذا السؤال؟ **(**توافق إنكارنا. ويبتسم ماريو**)**. لم أربح كثيراً قط، لذلك إن تزوجت منك فسيكون زواجاً مربحاً.

إنكارنا : **(**حزينة**)** لا تمزح.

ماريو : **(**جدّيّ**)** إنكارنا، أنا رجل مكسور، غارق في بئر بيتي منذ نهاية حربنا. فإذا جمعنا حزني إلى جانب حزنك، فلربّما حصلنا على نوع غريبٍ من السعادة.

إنكارنا : **(**توشك على البكاء**)** عن أي حزنٍ تتكلم؟

ماريو : لا تتظاهري بأنكِ لا تعرفين.

إنكارنا: ماذا تعرف أنت؟

ماريو : لا شيء. ولكنني أعرف. **(**تنظر إليه مضطربة**)**. تريدين أن تذهبي معي الآن إلى بيت أهلي؟ **(**تنظر إليه بسعادة واضطراب**)** قبل أن تتخذي أي قرار عليكِ أن تتعرفي إليهما.

إنكارنا: سبق لي أن تعرفت إليهما. أنا التي أجمع البطاقات والمجلات لأبيك. كلما رأى المزيد من الناس فيها ازداد فرحاً... أليس كذلك؟

(تبتسم).

ماريو : **(موافقاً ومستغرقاً في التفكير)** وبصورة متكررة يسأل من هذا؟ أو هذا؟

إنكارنا : لقد ترك أخوك اليوم بطاقة بريدية لأنها تخلو من صورة الناس. هكذا أتعلم أشياء عن والديك.

ماريو : تعجبه أيضاً البطاقات الخالية من الناس! هل كان فيها مَعلماً ما؟

إنكارنا : لا. كانت صورة قطار قديم. **(ينهض ماريو ويحدّق بها في حين تكمل إنكارنا، دون أن ينظر إليها، حديثها بعد لحظة).** ماريو، سنذهب إلى بيتك إن أردت ذلك، ولكن لن نذهب بصفة مخطوبين!

ماريو : **(ببرود وتحفظ)** دعيني أفكر. **(تنظر إليه بقلقٍ. تدخل العاهرة من الجهة اليمنى وتقف للحظة وتتلفت حولها**

منتظرةً وصول زبون محتمل. تنبهر إنكارنا من المشهد. ينهض ماريو). هيا بنا.

إنكارنا: ليس بصفة مخطوبين يا ماريو.

ماريو : لمَ لا؟

إنكارنا: قد تندم على ذلك، أو قد أندم أنا.

ماريو : **(**ببرود**)** إذاً سأعرّفك إليهم كصديقة لي. **(**تصل إنكارنا إلى جانبه. تبتسم العاهرة بسخرية انزعاج وتعبر ببطء. تمسك إنكارنا ذراع ماريو عندما ترى العاهرة تقترب. يهمُّ ماريو بالمشي ولكن إنكارنا تبقى واقفة**)**. ما بك؟

(تبتعد العاهرة وتخرج مترنّحة من الجهة اليسرى**)**.

إنكارنا: أنت لا تريد أن تلعب معي، صحيح؟

ماريو : **(**بانزعاج**)** من أين لكِ هذا؟

إنكارنا: **(**تخفض رأسها**)** هيا بنا.

(يخرجان من الجهة اليمنى. كان النادل قد دخل لتنظيف الطاولة ومسحها في حين أخذ الضوء ينخفض تدريجياً إلى أن انطفأ نهائياً.

يظهر الباحثان من كلتا الجهتين وعليهما بقعة ضوء. يخرج النادل وهما يتكلمان).

هي : المشهد الذي سترونه حدث بعد سبعة أيام.

هو : يستحيل علينا إعادة بناء ما جرى إبان هذه الفترة. كانت أجهزة الكشف تعمل تحت إشعاع شديد ولم تسجل إلا ظهورات جزئية متقطعة.

هي : نحن – الباحثين - ندرك تماماً معنى الفلاش المنبعث من هذه الصور، الذي يقدّم في كثير من الأحيان لقطاتٍ مفاجئة، إلا أنه أدّى بكثير منا إلى ترك وظيفته إحباطاً من ضخامة حجم المعطيات.

هو : خُصِّصت هذه الأجهزة لعرض أغرب التخيلات والرؤى: صراعات الطيور، أيادٍ تتصافح، زواحف ضخمة، إحراق مدينة، نمل على جثة، سهول مثلجة...

هي : أنا شخصياً رأيت أشياء شبيهة بالبشر، وأطفالاً مذعورين خلف أسلاك شائكة...

هو : كذلك رأينا صوراً غير مفهومة،كصورة كوكب ناءٍ أو حضارات منسيّة. هناك موجوداتٌ عديدة تشكّل اليوم بقاياها المعفنة أجسامنا، وعلينا أن نعود إلى هذا العدم كي لا نفقد التاريخ الذي نبحث عنه، الذي قد يكون بدوره دون جدوى.

هي : أغمض فعل وأتفهه قد يُكشف في أحد الأيام. واليوم سنكتشف تجارب معرفية قديمة جداً من خلال تصوير من كانوا يقرؤون، ربّما على مضض، الكتب المدمرة. يحتفظ المكان الغامض بكل شيء.

هو : كل حادثة يمكن لها أن تكون مأخوذة من مكانٍ ما.

هي : وأحياناً، دون أجهزة، بل من عقل جليّ.

هو : تستمر التجربة.

(تبدأ التموُّجات الضوئية ذبذبتها على المكتب. هو وهي يخرجان من طرفي المسرح. يستقر الضوء. الآلة الكاتبة مكشوفة وعليها أوراق جاهزة للتنضيد. إنكارنا أمام الآلة. يُفتح الباب ويدخل منه ماريو. تلتفت إنكارنا وهي تكتم تنهدها).

ماريو : جئت لأسلّم بعض المسودات، وقبل مغادرتي خطر لي زيارة أخي.

إنكارنا: (مرتعشة**)** إنه مع المستشارين الجدد منذ ثلاث ساعات.

ماريو : وهل سكرتيرته موجودة؟!

إنكارنا: (جدية**)** ألا تراها؟!

ماريو : (يغلق الباب ويتقدّم**)** أأزعجتك؟!

إنكارنا: أنا مشغولة.

ماريو : أنت عصبية؟!

إنكارنا: لقد أحضر المستشارون الجدد مرشحيهم. لا أدري إن كنت سأواصل عملي هنا.

ماريو : لا تهتمي للأمر، وكوني مطمئنة.

إنكارنا : لست مطمئنة. وسأشكرك أكثر إن غادرت بسرعة.

ماريو : (يعبس، يأخذ كرسيّاً ويجلس إلى جانبها محدقاً بها. إنكارنا لا تنظر إليه**)**.

لم أركِ منذ ثلاثة أيام.

إنكارنا: كان عندنا عملٌ كثير بسبب إعادة التنظيم.

ماريو : دائماً توجد هنيهة من الوقت **(**وقفة قصيرة**)...** إذا وجدت الرغبة في ذلك.

إنكارنا: أنا**...** كان عليّ أن أمعن النظر في الأمر.

ماريو : **(**يمسك يدها**)** إنكارنا**...**

إنكارنا: من فضلك، ماريو**!**

ماريو : تعرفين أنكِ تحبينني**!**

إنكارنا: لا**!** لا أعرف**!**

ماريو : تعرفين**!**

إنكارنا: **(**تقوم مرتعشة**)** لا**!**

ماريو : **(**ينهض تقريباً في الوقت نفسه ويحضنها**).** لماذا تكذبين عليّ؟

إنكارنا: اتركني**!**

(يقبّلها بقوة. تتمكن من إبعاده مصممة على رفضه في حين تنظر إلى الباب. يصل ماريو إليها ويأخذها من ذراعيها**).**

ماريو : **(**بهدوء**)** ما بكِ؟

إنكارنا: علينا أن نتحدّث**.**

(تذهب إلى المكتب وتستند إليه مرتعشة**).**

ماريو : ربّما لم يعجبك والداي**.**

إنكارنا : كلا، ليس الأمر كذلك **.** أؤكد لك أني أحبّهما من قبل**.**

ماريو : كذلك هما يحبانك**!**

إنكارنا: (تبتعد عنه وهي تفكر في ما تقوله**).** مرة ناداني والدك «إلبيريتا»**...** لماذا؟

ماريو : كانت أختاً لنا وتُوُفِّيت**.** كانت في الثانية من عمرها عندما انتهت الحرب**.**

إنكارنا: اعتقد أنني هي؟

ماريو : لو كانت على قيد الحياة لكانت بعمرك تقريباً**.**

إنكارنا: ما سبب وفاتها؟

ماريو : تأخرت عودتنا إلى مدريد ستة أيام**.** كان من الصعب جداً ركوب القطارات لأنها كانت مزدحمة بجنود يتلهّفون

للوصول إلى قراهم... وكان أصعب من ذلك إيجاد الطعام، لاسيّما الحليب. سافرنا بالشاحنات، وبالعربات، وما أدري... لم تتناول الطفلة شيئاً تقريباً... ولا حتى نحن... وهكذا تُوُفِّيت في اليوم الرابع بسبب الجوع. **(يسود الصمت).** دفنّاها في قريةٍ صغيرة. ذهب أبي إلى البلدية وحصل في الحال على شهادة الوفاة ورخصة دفن. بمرور السنين سمعت منه أن العملية كانت سهلة: إذ إنَّ الدفن كان سهلاً جداً.

(يسود الصمت).

إنكارنا: (تضغط على كتفه بحنانٍ) عليك بالنسيان يا ماريو.

ماريو : (يغمض عينيه) ساعديني أنتِ يا إنكارنا... هل أنتظركِ في المقهى فيما بعد؟

إنكارنا: (على وشك البكاء) نعم، عليَّ أن أقول لك شيئاً.

ماريو : (تتغيّر نبرته وتعبيرات وجهه. ينظر إليها بفضول). حول أخي؟

إنكارنا: حوله وحول أمور أخرى أيضاً.

ماريو : هل وصلت إلى شيء؟ **(**هي تنظر إليه مضطربة**)** صحيح؟

إنكارنا: (تركض صوب باب العمق، تفتحه وتتجسس لحظة. مطمئنة، تغلقه وتأخذ حقيبتها**)**. انظر ما وجدت في سلة المهملات. **(**تُخرج قصاصات ورقية لرسالة مشقوقة وترتّبها على الطاولة. ينحني ماريو لقراءتها**)**. هل تفهم اللغة الفرنسية؟

ماريو : قليلاً.

إنكارنا: يدور الكلام حول بيلتران... أليس كذلك؟

ماريو : يطلبون حقوق الترجمة لكتابه الثالث الذي نشره «قصة سرية». وبما أن دار النشر لم تعد موجودة، يتوجّهون إليكم للحصول عليها إن كانت لديكم... راجين منكم، في حال عدم توافر الحقوق لديكم، توجيه الطلب إلى صاحب العلاقة. **(**يسُود صمت. ينظر كل منهما إلى الآخر**)**. وها هي ذا وصلت إلى سلة المهملات.

إنكارنا: لو أنَّ أخاك قد رد عليها لكان قد فرزها في خزانة الملفات، ولم يشقها. **(**تلمّ قصاصات الرسالة على وجه السرعة**)**.

ماريو : لا ترمي هذه القصاصات يا إنكارنا.

إنكارنا: بالطبع لا.

(تعيد وضعها في حقيبتها**).**

ماريو : سأنتظر بيثينتي وسنتحدث معه في الموضوع.

إنكارنا: كلا**!**

ماريو : لا نستطيع السكوت**!...** الأمر يتعلق ببيلتران**!**

إنكارنا: نستطيع تحذيره**...**

ماريو : سنفعل ذلك عند الضرورة، ولكن دعينا الآن نعطي بيثيني فرصته.

إنكارنا: **(**تجلس محبطةً على كرسيها**)** أنا التي وجدت الرسالة. دعني أحاول أنا وحدي.

ماريو : إن وقفتُ إلى جانبك فستكون العملية أكثر سهولة بالنسبة لك.

إنكارنا: أرجوك**!**

ماريو : (ينظر إليها بإصرار للحظة) لست أسألك إن كانت لديكِ الجرأة للقيام بذلك، لأنك تعرفين أنه يتوجب عليك فعله...

إنكارنا: أمهلني بضعة أيام.

ماريو : كلا يا إنكارنا! إن لم تعديني بفعله الآن، فسأبقى أنا لأقول ذلك لبيثينتي.

إنكارنا : (بسرعة) أعدك! (تخفض رأسها. يداعب شعرها بحنان مفاجئ). سيطردني.

ماريو : لا تعتبي عليه البتة، وتظاهري بأن الموضوع قد حصل بسبب غفلته.

إنكارنا: أحقاً أستطيع أن أفعل ذلك؟

ماريو : (بقسوة) عندما يحين وقت الكلام بوضوح، سأكلمه أنا. تشجعي يا إنكارنا. أنتظرك في المقهى.

إنكارنا: (تحدّق به دهشة) أجل. هناك سنتحدّث.

(يُفتح الباب ويدخل بيثينتي حاملاً ملفاً بيده. تظهر أمارات السعادة والرضا واضحة على وجهه. تنهض إنكارنا).

بيثينتي : أنت هنا؟

ماريو : مررت لحظة لأسلّم عليك. كنت على وشك المغادرة.

بيثينتي: ابقَ قليلاً، لا تذهب بعد. **(**يضع الملفّ على الطاولة ويجلس**)** فلنرَ يا ماريو، سأقترح عليك اقتراحاً جدياً جداً.

إنكارنا: سأخرج.

بيثينتي : لا داعي لذلك**!** **(**إلى ماريو**)** على إنكارنيتا معرفة هذا. اسمعني جيّداً**!** إن أردت أنت ذلك فسيجري تعيينك سكرتيري الآن للعمل هنا معي، ومعها. **(**يتبادل كل من إنكارنا وماريو النظرات**)**. ولكِ بشرى سارة أيضاً يا إنكارنا: زيادة خمسمئة بيزيتا شهرياً إلى راتبك. ستبقين مع آلتك الكاتبة وخزانة الملفّات، ولكنني أحتاج لمساعد مؤهّل أدبياً بشكلٍ جيد... بالتأكيد أنت تفهمين ذلك...

إنكارنا: بالتأكيد.

(تجلس في كرسيها**)**.

بيثينتي: وأنت ماريو، هذا المنصب له مستقبل عظيم. ولتعلم أنك كبداية، ستقبض أجرة تعادل ثلاثة أضعاف ما تتسلَّمه الآن. هل توافق؟

ماريو : في الواقع يا بيثينتي...

بيثينتي : لحظة... **(بتعاطف)** اليوم أستطيع أن أوظفك، أما غداً فلا. تخيّل مدى سعادة والدتنا... الآن أستطيع أن أعترف لك بأنّها طلبت مني فعل هذا عدة مرات.

ماريو : كنت أفترض ذلك.

بيثينتي: إن هذا سيجعلني أشعر بسعادة كبيرة، أؤكد لك .

ماريو : **(بهدوء)** كلا يا بيثينتي، شكراً جزيلاً لك.

بيثينتي : **(يكبح حركة غضب)** لمَ لا؟

ماريو : أنا لا أصلح لعمل مثل هذا.

بيثينتي: **(ينهض).** أنا أعرف أفضل منك إن كنت تصلح أم لا! كما أن هذه الفرصة لن تتكرر! لا يمكنك

أن تهملها، لا يحق لك أن ترفضها**!** من أجل زوجتك**!** من أجل أولادك**!** عندما سيصبح لديك**!** **(**يتبادل إنكارنا وماريو نظرات**)** إنكارنا أنت امرأة وتفهمين ذلك**!** قولي له شيئاً**!**

إنكارنا **: (**مضطربة جداً**)** نعم**...** في الحقيقة**...**

بييثينتي : (إلى ماريو**)** يبدو أنني لا أستطيع أن أفعل لك أكثر من هذا**!**

ماريو : أشكرك من صميم قلبي، صدّقني**...** ولكن لا**.**

بييثينتي : (محمراً**)** لقد وصل الأمر إلى مستوى الإهانة**...** كان أي شخص ليقبل الموضوع بغبطةٍ وسعادة**.**

ماريو : أعرف يا بيثينتي، أعرف، سامحني**.**

بييثينتي : ماذا تقصد بـ«سامحني»؟ نعم أم لا؟

ماريو : (بشكلٍ حاسم**)** لا**.**

(تتنهد إنكارنا خائبة الأمل**).**

بييثينتي : (بعد لحظة، بنبرة جافة**)** كما تريد**... (**يجلس**).**

ماريو : إلى اللقاء يا بيثينتي. وشكراً. **(**يخرج ويغلق الباب وراءه. صمت قصير**)**.

بيثينتي : لقد خضعت لقدر عدم التفاهم معه منذ سنوات. ما أستطيع قوله هو أنه متكبّر وأبله. **(**يتنهد**)** سيوظفون غيره هنا، وقد لا أدري من يكون. أنتِ لا تقلقي، ستبقين معي ومع زيادة في الراتب.

إنكارنا : أنا أيضاً أشكرك.

بيثينتي : **(**بحركة عدم موافقة**)** لا يعرف كم كان عرضي كريماً لأنني كنت أكذب عليه: إذ إنني لا أرغب في وجوده هنا. فغرابة أطواره قد ينجم عنها عدم الراحة، كما أنه قد يكتشف ما بيننا، وقد يبدو له الأمر محرماً، فهو غبيٌّ لا يعرف شيئاً في الحياة. هيا**!** لا أريد أن أفكر أكثر في الموضوع. هل يوجد شيء للتوقيع؟

إنكارنا : لا.

بيثينتي : ولا أيّ أمر معلق؟ **(**يخيم الصمت**)** إيه؟

إنكارنا : **(**بصعوبة**)** لا.

(تنفجر بكاءً)

بييثينتي : ما بكِ؟

إنكارنا : لا شيء.

بييثينتي : أعصاب؟... استمراريتك في الدار مضمونة.

(ينهض ويذهب إليها).

إنكارنا : ربّما هذا.

بييثينتي : (يضحك) يجب علينا الاحتفال بدلاً من البكاء. (بحميمية) هل أنت مشغولة؟

إنكارنا : اليوم الخميس.

بييثينتي : (بانزعاج) صديقتك؟

إنكارنا: نعم.

بييثينتي : كنت أعتقد أنك ستخصصين لي بعض الوقت هذا المساء.

إنكارنا: تأخر بي الوقت، ولا أستطيع أن أخبرها بعد الآن.

بيثينتي: نذهب إلى أي مكان. تعتذرين أنت منها وأنا أنتظرك في السيارة.

إنكارنا: لن يكون هذا جيداً... غداً، إن أردت.

(صمت**)**.

بيثينتي: **(**بانزعاج**)** كما تشائين. تستطيعين الذهاب.

(تقف إنكارنا، تأخذ محفظتها وتلتفت إليه عند الباب مترددة**)**.

إنكارنا: إلى اللقاء.

بيثينتي: إلى اللقاء.

إنكارنا: وشكراً لك مجدداً.

بيثينتي: **(**بسخرية**)** لا شكر على واجب**!** لا شكر على واجب**!**

(تخرج إنكارنا. يمرر بيثينتي يده على عينيه متعباً. يراجع بعض الأوراق ويشعل سيجارة ثم يتكئ على الأريكة. يدخّن وهو شارد الذهن. يُسمع ضجيج القطار من مكان بعيدٍ، في الوقت نفسه يقوى الضوء ويتركز في غرفة الجلوس. يُفتح باب البيت ويدخل الوالدان).

الأم : إلى أين أنت ذاهب، يا رجل؟

الأب : إنه هنا.

(يدخل غرفة الجلوس ويتلفَّت في كل جانب).

الأم : عمَّنْ تبحث؟

الأب : عن الطفل المولود تواً.

الأم : هيّا، قصّ بطاقاتك البريدية.

الأب : عليَّ أن أبحث عن ولدي!

(يُفتح باب البيت ويدخل ماريو).

الأم : اجلس...

الأب : سأرفع دعوى أمام السلطات المعنية! سأقول لهم إنكم ترفضون إقامة حفل بمناسبة التعميد!

ماريو : تعميد من يا والدي؟

الأب : تعميد ابني بيثينتي **(يلتفت فجأة مصغياً. يستند ماريو إلى الحائط وينظر إليه. يختفي صوت القطار).** الزموا الصمت! اسمعوا! ها هو ذا يبكي.

الأم : لا أحد يبكي!

الأب : قد يكون في المطبخ.

(يتجه إلى الممر).

ماريو : قد يكون في القطار يا أبي.

الأم : (متضايقة) أنت أيضاً؟

الأب : (يلتفت) أكيد! (يتّجه صوب المنور غير المرئي). لنذهب إلى القطار قبل أن يكبر الولد... من أين نستطيع الصعود؟

الأم : (تهزُّ كتفيها وتتابع اللعبة) ولكننا صعدنا أيها الغبي.

الأب : (مرتبك) لا.

الأم : أجل يا رجل! ألا تسمع القاطرة؟ بييييببب... بييييببب... (تبدأ بضرب رجليها على الأرض مثل طفل يلعب) شاكا - شاكا، شاكا - شاكا، شاكا - شاكا، (الوالد يضحك، يقف وراءها ويقلّدها. يخرج الاثنان إلى الممر يتمتمان وهما يضحكان، شاكا - شاكا، ويدخلان غرفة النوم وينغلق الباب خلفهما. هدوء

قصير. يقترب ماريو من المنور وينظر إلى الخارج غارقاً في تفكيره. ينفعل بيثينتي في مكتبه، يطفئ السيجارة وينهض وهو يزفر زفرة طويلة. ينظر إلى ساعته ويخرج بسرعة مغلقاً الباب. يتذبذب الضوء وينطفئ في المكتب. تفتح الوالدة باب غرفة النوم بسرية، تخرج إلى الممر، ثم تعود وتغلق الباب وترجع إلى غرفة الجلوس كاتمة ضحكتها). سيقتلني هذا الرجل. (تضع بعض الفناجين في الصينية على خزانة الأدراج). عند مروره إلى جانب خزانة الملابس وقف ينظر إلى نفسه في المرآة بشكلٍ جديٍّ. فقلت له : ماذا تفعل؟ أجاب بصوتٍ خافتٍ : ها أنا قد التقيت بهذا الرجل. فقلت له: هيا تكلم معه، لمَ لا تحدِّثه؟ وأجابني: باه! هو أيضاً لم يتحدث معي. (تغشى في الضحك). يا له من عجوز أبله!... ألا تريد حلاوة تبلّلها في القهوة بالحليب؟

ماريو : (دون الالتفاف إليها) لا، شكراً. (ترفع الأم الصينية وتتهيّأ للذهاب). عن أي قطار يتحدث؟

الأم : (تقف) قطار من قطارات مجلاته.

(تستهل المشي).

ماريو : أو عن قطارٍ حقيقي.

الأم : (تنظر إليه نظرة فضول) ربّما، فقد ركبنا كثيراً منها في هذه الحياة...

ماريو : (يلتفت إليها) كما فاتنا بعض منها.

الأم : بطبيعة الحال.

ماريو : ليس بهذه الطبيعية. لا يفوتنا القطار كل يوم. أما نحن فقد فاتنا مرة واحدة فقط.

الأم : (تقف، وهي تحمل الصينية في يديها) ظننت أنك لم تكن تتذكر.

ماريو : ألا يشير إلى ذلك القطار؟

الأم : إنه لا يتذكر شيئاً.

ماريو : أما أنت فتتذكرين.

الأم : أجل، بكل تأكيد يا بني. ليس بسبب القطار فحسب، بل بسبب تلك الأيام الرهيبة. (تترك الصينية على

الطاولة). ليس للقطار أيّ أهمية. حسناً: المهم أنه أخذنا إلى بيثينتي الصغير الذي كان قد دخل القطار عبر الشبّاك ولم يستطع النزول منه لاحقاً. لم يكن وجوده مهماً لأني قلت له أن ينتظرنا عند ابنة عمي فور وصوله إلى مدريد. هل تذكر؟

ماريو : ليس تماماً.

الأم : عندما لاحظت أنه لم يعد يستطيع النزول، قلت له: اذهب إلى بيت الخالة «أسونثيون» وسنصل إليك نحن فيما بعد... والمسكين انتظَرنا هناك دون أن يعرف، من بين العديد من الأمور، أنه فقد أخته.

ماريو : عندما أتت صديقتي في ذلك اليوم، ناداها والدي «ألبيريتا».

الأم : ماذا تقول؟

ماريو : لم تسمعي لأنك كنت في المطبخ.

الأم : (تفكّر) كلمات تخطر بباله بصورة مفاجئة... مع أنه لا يذكر شيئاً.

ماريو : أتذكرين ألبيريتا يا أماه؟!

الأم : (بصوت خافت) كل يوم.

ماريو : يجب ألّا يموت الأطفال.

الأم : (تتنهد) إلا أنهم يموتون.

ماريو : وبطريقتين.

الأم : أيّ طريقتين؟

ماريو : الطريقة الثانية عندما يكبرون. كلنا زائلون.

(تنظر إليه الوالدة بحزنٍ وتأخذ الصينية. كان الوالد قد خرج من غرفته وعاد إلى غرفة الجلوس).

الأب : مساء الخير يا سيدة! من أنت؟

الأم : (بجدية) أنا زوجتك.

الأب : (بجدية أكبر) يا لها من دعابة ساذجة.

الأم : كفَّ عن الكلام يا عجوز. (يبعثر الوالد بطاقات ومجلات فوق الطاولة. يختار بطاقة بريدية ويجلس ثم يبدأ يقصها. تعود الوالدة لتضع الصينية وتقترب من

ماريو) يبدو لي أن صديقتك فتاة جيدة. هل هي خطيبتك؟

ماريو : لا.

الأم : لكنّك معجب بها؟

ماريو : نعم.

الأم : ليست من تلك السيدات المتبرجات، بل بالعكس، كذلك وقعنا منها موقعاً حسناً، لو كنت مكانك لتزوجتها.

ماريو : وإن رفضت؟

الأم : ماذا تقول يا بني! تبدو لي أحياناً أنك أبله.

ماريو : أترين أنه من المناسب أن تسكن هنا معنا ووالدنا على ما هو عليه الآن؟

الأم : لِمَ لا إن أردت ذلك... ستلتقي بها اليوم؟

ماريو : من المحتمل.

الأم : اسألها!

ماريو : (يبتسم) فلنفترض أني قلت لها هذا وهي لم تقرر.

الأم : ربّما تريد أن تزيد من قيمة نفسها قليلاً.

ماريو : أتظنين؟

الأم : (بعذوبة) دون شك يا بني.

الأب : (إلى ماريو مشيراً إلى بطاقة ما) من هذا؟

ماريو : (يعانق أمه بشكلٍ مفاجئ) أودُّ أن تأتي عندنا.

الأم : ستأتي... وستجلب معها إلى المنزل السعادة والأولاد.

ماريو : لا تقولي شيئاً أمام أخي، ليس بعد.

الأم : سيفرح بذلك.

ماريو : ستفهمين لاحقاً، هذه مفاجأة.

الأم : كما تريد يا بني. (تخفض صوتها) وأنت لا تقل أيّ كلمة عن أي قطار أمام أبيك. لا داعي لتعقيد الأمور... علينا أن نعيش! (ينظر كل منهما إلى الآخر. يرنُّ جرس البيت) من سيكون؟

ماريو : أنا سأفتح.

الأم : هل تواعدت معها هنا؟

ماريو : لا...

الأم : بما أنها أصبحت ممن يزورون بيتنا...

ماريو : **(**مسروراً**)** هذا صحيح... ليتها هي**!**

(يريد أن يخرج إلى الممر**)**.

الأب : من هذا؟

(ينظر ماريو إليه لحظة ويخرج لفتح الباب**)**.

الأم : **(**في الوقت نفسه تقول لزوجها**)** إنه الغول**!** أوووووو**!** **(**تقترب من الممر لتنظر. يفتح ماريو الباب. إنه بيثينتي.**)** بيثينتي، بني**!** **(**يغلق ماريو الباب بصمتٍ. يتقدم بيثينتي وتعانقه والدته**)**.

ما بك؟

بيثينتي : **(**يبتسم**)** وعدتك أن أزوركم أكثر.

الأم : اليوم، إذاً لن أسمح لك بالمغادرة طيلة المساء**!**

بيثينتي : لا أستطيع أن أبقى طويلاً.

الأم : حتى إنني لن أسمعك تقول هذا**!** **(**وصلا إلى غرفة الجلوس**.** تتجه الوالدة إلى خزانة الأدراج وتُخرج محفظة صغيرة من أحدها**)** ورجائي أن تصنع معروفاً وتنتظر هنا بشكل هادئ حتى عودتي**!** **(**تركض عبر الممر**)** سأعود على الفور**!** **(**تفتح باب الشقة وتخرج على عجل مغلقة الباب**).**

ماريو : **(**يتقدم بدوره ويتكئ على عتبة الممر**)** بالتأكيد ستحضر فطائر**!**

بيثينتي : **(**يضحك**)** بالتأكيد؟ مرحباً يا أبي**!** كيف تسير أمورك؟

(ينظر الوالد إليه ويعود ليهتم بالبطاقات**).**

ماريو : لا يزال على حاله كما ترى**.** أعتقد أنك جئت لتكلمني**...**

بيثينتي : أجل**.**

ماريو : قل لي**.**

(يعبر الغرفة ويجلس خلف طاولته الصغيرة**)**

بيثينتي: (بحنانٍ) لماذا لا تريد العمل في دار النشر؟

ماريو : (ينظر إليه، ذاهلاً) هذا ما كنت تريد أن تحدثني عنه؟

بيثينتي: من المؤسف جداً أن تضيّع مثل هذه الفرصة، ربّما لن تحظى بمثلها لسنوات عدة.

ماريو : هل أنت متأكد من أنك لا تريد أن تحدثني عن أمر آخر؟

بيثينتي : أكيد، أي أمر تقصد؟ **(متضايقاً، يضرب ماريو قبضته على كف يده، ثم يقف ويتمشّى. يدنو منه بيثينتي)** أنت في الوقت الحالي تعمل لدار الناشر، ماريو. ما الفرق؟

ماريو : (بقسوة) اجلس.

بيثينتي: بكل سرور، لعلك قررت أخيراً أن تقول كلاماً منطقياً.

(يجلس).

ماريو : ربّما لا. **(يبتسم)** أنا أسكن هنا مع والدنا، وليس الجو ملائماً جداً كما تعرف. **(يومئ إلى الوالد)** انظر إليه. لقد كان هذا الرجل المريض الآن رجلاً مستقيماً، أتتذكر؟

تعلّمنا على يده دين الاستقامة، وهو علم خطير، لأننا لاحقاً، عندما واجهنا العالم، أدركنا أن هذا الدين كان العدو. (بنبرة اتهاميّة) لا نستطيع العيش باستقامة في هذا الزمان، بل نعيش على الغشّ، والخديعة، والتواطؤ. نعيش على سحق الآخرين. ماذا علينا أن نفعل إذاً؟ إما أن تقبل هذه اللعبة القذرة ومن ثمَّ تخرج من هذه البئر... أو أن تبقى فيها.

بيثينتي: (ببرود) لم لا نخرج منها؟

ماريو : سأشرح لك الأمر... يقرفني هذا العالم، فالجميع يؤمن فيه بقاعدة إما أن تأكل وإمَّا أن تُؤكل. وعلاوة على ذلك، يقولون لك: افترس قبل أن يفترسوك! ويزوّدونك بنظريات حتى تشعر بالارتياح. الصراع من أجل البقاء... الشرُّ الذي لا مفر منه لنيل الحق الضروري... إنه الإحسان بشكله الصحيح. على أني في زاويتي الصغيرة، أحاول أن أرى إن كنت أستطيع أن أنقذ نفسي من أن أصبح فريسةً، وفي الوقت نفسه لا أفترس أحداً.

بيثينتي: ولكن ، أعتقد أنك لست دائماً متربعاً في مخبئك.

ماريو : ليس دائماً. أحياناً أخرج للقيام بأعمالي العابرة.

بيثينتي: وهل كنت تسحق أحداً في أثناء خروجك.

ماريو : أشياء دون قيمة... كنت أكتفي بالدفاع عن نفسي. وأصل إلى درجة السماح بأن أُسحق قليلاً تفادياً من المناقشة... إلا أنني، مثلاً، لا أجمع ثروة من هذا.

بيثينتي: هذه تهمة بحدِّ ذاتها. أليس كذلك؟

الأب : من هذا؟

(يمشي ماريو باتجاه والده**)**.

ماريو : لقد قلت لنا إنك تعرفه.

الأب : وأنا أعرفه.

(يستمر في النظر إليهما بسخرية**)**.

ماريو : **(**إلى أخيه**)** غريب**!** ساحة الأوبرا في باريس، والرجل الذي يرتدي القبعة، والإقرار نفسه.

بيثينتي: أنت نفسك قلت إنه مريض.

ماريو : ولكنَّ رجلاً يستطيع أن يسأل ما يسأله هو**...** لا بدَّ من أن يكون أكثر من عجوز غبي**!**

بيثينتي: ماذا يسأل؟

ماريو : من هذا؟ ومن ذاك؟ ألا يبدو لك سؤالاً رهيباً؟

بيثينتي: لماذا؟

ماريو : آه **!** إن كنت أنت لا تفهم ذلك **...**

(يهز كتفيه ويتمشى**).**

الأب : هل لك أولاد يا سيد؟

بيثينتي: ماذا؟

ماريو : يتكلم معك**.**

بيثينتي: تعرف أنه ليس لي أولاد**.**

الأب : **(**يبتسم**)** سأقدِّم لك مفاجأة بعد قليل أيها السيد**.**

(يهم بقص شيء من مجلة**).**

بيثينتي: لم ترد عليّ**. (**يقف ماريو**)** هل كنت تقصدني عندما تكلمت عن السحق وجمع الثروة؟

ماريو : كنت أريد أن أقول إنني ربّما لن أكون قادراً على دخول هذه اللعبة دون القيام بذلك.

بيثينتي: (يقف) لكن لا يمكن للمرء البقاء في البئر!

ماريو : كان يجب على أحدنا البقاء هنا!

بيثينتي: (يواجهه مغتاظاً) لو لم أغادر أنا لما استطعت أن أساعدكم الآن!

ماريو : لكن في ذلك الوقت كان لا بدَّ من إعالة أبوينا... وقد أعلتهما أنا! ولو بصورة غير ملائمة... أعترف بذلك.

بيثينتي: أعلتَهما: مبارك! والآن باستطاعتك أن تأتي معي وسنعيلهما معاً.

ماريو : (بصراحة) لا أستطيع عن حق.

بيثينتي: (يحاول ضبط نفسه) ماريو، النجاسة موجودة في كل فعل، ولكن ليست كل الأفعال أنانية إلى الدرجة التي تظن. كما أنك لن تقوم بأي أمر مفيد إلا إذا تصرفت بدهاء! ولن تتعرف الناس إلا إذا تعاملت معهم، وكذلك لن تعرف نفسك، إلا إذا اختلطت بالناس.

ماريو : أفضّل أن أراهم.

بيثينتي : ولكن هذه سذاجة، هذا كله هذيان! أنت تستهلك حياتك هنا إما بمراقبة مجنونٍ أو باختلاس النظر عبر المنور إلى أرجل أناس تافهين! أنت تحلم! استيقظ!

ماريو : من عليه أن يستيقظ؟ أرى من حولي العديد من الفاعلين إلا أنهم نائمون! وكلما تصرفوا تصرفات فاسدة أكثر اعتقدوا أنه لا يمكن الاستغناء عنهم!

بيثينتي: لم آتِ هنا كي تشتمني!

ماريو : ولكنك تأتي. إنك تعود إلى البئر كل مرة أكثر... وهذا ما أفضّله فيك.

الأب : (يتوقّف عن القص ويشير إلى بطاقة بريدية) من هذا يا سيّد؟ من المؤكد أنك لا تعرف؟

ماريو : السؤال الرهيب.

بيثينتي: رهيب؟

ماريو : طبعاً، لأنه لا يكفي أن تجيبه إنه «فلان بن فلان» ولا يكفيه أن تستقصي حقيقة ما قام به وما حدث له.

وعندما تعرف هذه الأشياء كلها فإنه يطرح أسئلةً أخرى... إنه سؤالٌ لا يمكن الإجابة عنه.

بيثينتي: ولكن ماذا تقول؟

الوالد : **(**كان ينظر إليهما ويشير مجدداً إلى البطاقة**)** يتكلم عن هذا.

(ويعود يقص من جديد**)**.

ماريو : أنت، ألم تتساءل قط أمام بطاقة بريدية قديمة مَن كان هذا؟ هل كان يمر مصادفةً من هناك؟ من كان؟ الرجال الفعّالون مثلك لا يهتمّون بهذه الأشياء، غير أنني أتعثر أنا هناك، في البطاقة، جامداً دون حراك...

بيثينتي: ميتاً تقصد؟

ماريو : بل جامداً فقط مثل لوحة حية؛ أو مثل صورة خلية مليئة بالحيوية. هكذا التقطوا صورته دون أن ينتبه إليهم. وأظن... أنك ستضحك...

بيثينتي: **(**بنبرة جافة**)** ربّما.

ماريو : أعتقد أنه جرى التقاط صورته لكي أسأل أنا، بعد مرور عدة سنوات، عن هويته. **(يحدق به بيثينتي مندهشاً)**. نعم، نعم، أنا كذلك أعتقد أنه في كثير من الأحيان كان من الممكن... **(يسكت)**.

بيثينتي: ماذا؟

ماريو : البدء في التحقيق.

بيثينتي: لا أفهم.

ماريو : استقصاء الهوية الحقيقية لهذا الشبح، مثلاً. الذهاب إلى باريس، نشر إعلان، جمع المعلومات، متابعة الأحداث... وهل سنعثر على أثره؟ أو هل سنجده هو نفسه وهو كبير السن، في نهاية التحقيق؟ وهكذا على هذا المنوال مع الجميع.

بيثينتي: **(مذهولاً)** مع الجميع؟

ماريو : إنها حماقات! تخيّل ذلك. إن هذا يشبه البحث عن إبرة في كومة قش.

بيثينتي: **(يضحك)** وجهة نظر إلهية!

(ينظر إليهما الوالد بهيبة).

ماريو : وهو ما لا نملكه أبداً على الرغم من أننا نأمل الحصول على هذه القدرة.

بيثينتي: (يجلس وهو يشعر بالضجر) أنت مجنون.

ماريو : أدرك أن وجهة النظر هذه لا يمكن بلوغها. لذلك أكتفي بمراقبة الأشياء (ينظر إليه) والأشخاص من زوايا غير متوقعة.

بيثينتي: (مغتاظاً وبانزعاج) وأنت تخترعها كما كنا نفعل أمام المنور عندما كنا صغاراً.

ماريو : ألا تعطينا هذه الاختراعات شيئاً حقيقياً يجهله الأشخاص الذين نراقبهم؟

بيثينتي: ما هو؟

ماريو : من الصعب أن أشرح لك... علاوة على ذلك أنت لا تلعب هذه اللعبة... فالرجال الفعالون مثلك، نادراً ما يراقبون. أنتم ترون الأحداث السطحية التي تعتقدون بها مسبقاً فحسب. أنا أسعى إلى تجنب الموضوعات

السطحية. وعندما أحاول التعامل مع هؤلاء الأشخاص أشعر بما تشعرون به جميعاً: التجربة مريرة. ألاحظ أنهم شياطين مساكين، منافقين، أعداء، ضعفاء،... جماعة من المذنبين والأغبياء. وهكذا أراقب تلك الأرجل التي تمر. وحينئذ أصل إلى الاعتقاد بأنها تمثل أشياء أخرى أيضاً... جميلة بشكل غير متوقع أو ربما مفاجئة.

بيثينتي: **(**بسخرية**)** مثلاً؟

ماريو : **(**يتردّد**)** ليس من السهل إعطاء الأمثلة : إشارة ما، كلمة ضائعة،... لا أعرف. ومن حين إلى آخر إلهام حقيقي.

الأب : **(**ناظراً إلى يديه**)** كم من الأصابع لدي!

بيثينتي: **(**إلى شقيقه**)** ماذا قال؟

الأب : **(**يرفع يده**)** هناك أصابع زائدة عن اللزوم. أعتقد أن هذين الإصبعين زائدان.

(يقرّب المقص من خنصر يده اليسرى**).**

بيثينتي: (ينهض على الفور) انتبه**! (**كان ماريو قد اقترب من والده ويومض بإشارة سريعة إلى أخيه أن يتوقف**)** إنه سيضر نفسه**!**

(ينفي ماريو ويراقب والده بحذرٍ شديدٍ وهو يظهر استعداده للتدخل. يحاول الوالد قطع خنصره إلا أنه يتراجع عندما يشعر بالألم**).**

الأب : (يضحك**)** عجباً**!** هذا يؤلمني**!**

(يعود ليقصَّ مجلاته. يبتسم ماريو**).**

بيثينتي: كان على وشك جرح نفسه**!**

ماريو : كنا سنمنعه من ذلك في الوقت المناسب، والأهم أننا بتنا نعرف أن ردود أفعاله للدفاع عن نفسه في حالة جيدة.

بيثينتي: على كل حال هذه حماقة.

ماريو : كان علينا خياطة جيوبه لأنه كان قد قطع خيوطها. ولكن من غير المناسب معارضته. لو تسرعتَ لكان قد جرح نفسه. **(**يبتسم**)** يجب عليك المراقبة يا أخي، المراقبة أكثر من القيام بالأفعال. هل نفتح المنور؟

بيثينتي: (بسخرية**)** هل ترغب في أن تقدم لي إحدى تلك الإلهامات العظيمة؟

ماريو : أرغب فقط أن نعود قليلاً إلى أيام شبابنا.

بيثينتي : (يهز كتفيه ويتكأ على حافة السفرة**)** قم بما تشاء إذاً.

(يقترب ماريو من الجدار غير المرئي ويومىء بفتح المنور. يُسمع صوت مسكة المنور ويُخَفَّف ضوء الغرفة إلى درجة ما. تُعكس على جدار العمق بقعة ضوء المنور مع ظل القضبان. يترك الوالد المقص وينظر باهتمامٍ كبير. سرعان ما تمر رِجلا أحد المارين).

الأب : اجلس**!**

بيثينتي: (يضحك**)** كما في السينما**!**

(ويجلس على كرسي**).**

ماريو : كما في السابق.

(يجلس. الثلاثة يراقبون المنور. الآن تمر بخطاً سريعة قدما أنثى. بعد قليل، أقدام رجلين يعبران ببطء باتجاه معاكس. ربما يُسمع من بعيد صوت حديثهما المشوش**).**

بيثينتي: (بسخرية) هذا أمر تافه ومبتذل.

ماريو : هل هذا رأيك؟ (يعبر زوجان: قدما رجل إلى جانب قدمي امرأة. تُسمع ضحكاتهما. تعبر قدما رجل آخر، يتوقف لحظة، ويلتفت عند سماعه لأحدٍ يقول: «لا تكن إلى هذا الحد مستعجلاً!» يظهر ظل ساقي الرجل الذي تحدث: كان قادماً على عجلة، ويلتحق بالرجل السابق ويتابعان مسيرهما إلى أن يختفي ظلّاهما). هذا ما أقوله أنا أيضاً: لا تكن مستعجلاً إلى هذا الحد. (يُسمع ما هو مزيج من الضحك والصراخ: «الأخير شاذ!»، وتمر ظلال ثلاثة أولاد يركضون). أولاد الحي. ربّما يتجهون إلى الكشك لشراء أول سيجارة لهم، لذا صاروا يتكلمون كأنهم رجال صغار. أحياناً يقفون عندنا، ينقرون زجاج المنور ثم يهربون راكضين.

بيثينتي: تعرفهم من قبل.

ماريو : (يبتسم ويعترف) نعم. (في هذا الحين تعبر أقدام شاب) وهذا؟

بيثينتي : لم تستطع أن ترى شيئاً!

ماريو : كان يحمل في يده ورقة صغيرة، وكان على عجلة من أمره. ربما وصفة طبية؟ الصيدلية قريبة. يوجد في بيته شخص مريض، ربّما والده... (ينفي بيثينتي بشدة وهو لا يصدق). (يعبر ظل امرأة عجوز وتتوقف لاهثة ثم تتابع مسيرها) هل رأيت؟

بيثينتي : ماذا؟

ماريو : كانت تحمل ملعقة وقطرميزاً. لعلها بقايا الأكل في البيت الذي تنظف فيه... هذا هو الإخفاق... مصابة بالدوالي في رجليها. إنها كبيرة السن، وفي الوقت نفسه عليها أن تمسح أراضي البيوت.

بيثينتي : (بسخرية) شاعر.

(يمر ظل وبعده ظل آخر).

ماريو : ليس إلى هذا الحد. (يعبر ببطء ظل امرأة تحمل حقيبة) وهذه؟

بيثينتي : ولكنها عبرت للتو!

ماريو : وأنت لم تر شيئاً.

بيثينتي: حقيبة فقط.

ماريو : من الكرتون. والتنورة خضراء بلون التفاح. غير واثقة بنفسها عندما تمشي. لعلها فتاة قروية أخرى جاءت إلى المدينة... ساقاها قويتان. إنها فلاحة.

بيثينتي: (بازدراء) كل هذه القصص من اختراعك!

ماريو : (بضحكة محيرة ومفاجئة) أكيد أكيد! يمكن أن يكون كل هذا مجرد كذبة.

بيثينتي: فإذاً؟

ماريو : إنها لعبة... بإمكاننا التقاط أكثر شيء حقيقي في هؤلاء الأشخاص، غير أنه غير قابل للتفسير بشكل كامل.

بيثينتي: (بسخرية) يعني «لا أعرف ماذا».

ماريو : بالتحديد.

بيثينتي : إذا لم يكن قابلاً للتفسير فهو لا يعني شيئاً.

ماريو : «لا شيء» يختلف عن «شيء لا أعرفه». (يعبر ظلان أو ثلاثة ظلال).

بيثينتي: لا معنى لهذا كله!

ماريو: (يعلّق على ظل آخر يمر أمام المنور غير مبالٍ بشقيقه) أمٌّ شابة تدفع عربة ابنها الصغير. ربّما يموت طفلها اليوم إلا أنها لا تفكر في هذا الاحتمال الآن. (أمام أمارات الانزعاج الظاهرة على وجه شقيقه) بالتأكيد، قد تكون كذبة أخرى. (معقباً على ظل آخر توقف) وهذا؟ ليس لديه ما يقوم به. يتنزه.

(سرعان ما ينحني الظل ويلقي نظرة على الداخل عبر المنور. صمت).

الأب : من هذا؟

(ينهض الظل ويتلاشى).

بيثينتي: (باستياء) شخص فضولي.

ماريو : (يسيطر بصعوبة على انفعالاته) إنه مثلنا. ولكن، من هو؟ من المؤكد أنه يتساءل أيضاً: من هؤلاء؟ نعم، كانت نظرته نظرة مدهشة... أنا أشعر بأنه...

بيثينتي: هل كانت هذه هي المعجزة التي تنتظرها؟

ماريو : **(**يتأمله بعينين غامضتين**)** إنه لا شيء بالنسبة لك، أرى ذلك جيداً. لا بدَّ من أن نجرّب من جانبٍ آخر.

بيثينتي: أن نجرب؟

(يعود الأولاد للمرور بالاتجاه المعاكس، يتوقفون وتُسمع أصواتهم **:** «هنا يستطيعون رؤيتنا، هيا إلى الساحة الصغيرة ولنبدأ من هناك». «هيا، إلى الساحة» «آخر واحد يصل شاذ**!**» يركضون وتتلاشى ظلالهم**)**.

ماريو : هم أنفسهم الذين مروا سابقاً ويتحدثون عن علبة سجائر.

بيثينتي: **(**مهتماً رغماً عنه**)** هل تظن ذلك؟

ماريو : لقد رأيت أنني على صواب.

بيثينتي: صدفة فحسب.

ماريو : ولكنها ليست كذلك بالمعجزة، بعد الآن. غير أنني أتجرأ أن أضيف أن اليوم...

بيثينتي: ماذا؟

ماريو : (يحدق به) لا شيء. (يعبر ظلان أو ثلاثة ظلال. بيثينتي يريد أن يتحدث) اسكتْ.

(ينظران إلى المنور. لا أحد يعبر).

بيثينتي: (يهمس) لا أحد يعبر.

ماريو : كلا.

بيثينتي: هناك شخص آخر.

(يظهر ظل ساقين لرجل يتسكع على مهل. يقف تماماً أمام المنور ويلتفت إلى الخلف رويداً رويداً، ويداه خلف ظهره كأنه يتأمل الشارع. يخطو خطوتين ويقف مجدداً. يختلس ماريو النظر إلى شقيقه).

ماريو : لا يمكن ذلك!

بيثينتي: ماذا؟

ماريو : ألا يبدو لك أنه...؟

بيثينتي: من؟ (يخيم الصمت) أحد أبناء الحي؟

ماريو : تماماً، إنه هو، وأتساءل ما الذي أتى به إلى هنا. ربّما أتى ليراقب... لأن هذه الأجواء تثير اهتماماته.

بيثينتي: مَن تقصد؟

ماريو : أقسم لك إنه هو. ألا تشاطرني الرأي؟ انظر ملياً: سرواله غامق، وسترته مختلطة الألوان... وطريقته هذه في وضع يديه خلف ظهره... وهذا البطء في تحركاته.

بيثينتي: (مذهولاً جداً) «أيوخينيو بيلتران»؟ (ينهض ويركض إلى المنور. يختفي الظلّ. ينتبه ماريو إلى أخيه. يحاول بيثينتي عبثاً أن يرى الشخص من زاوية المنور) لم أر وجهه. (يعود إلى الخلف) يا للحماقة! (يلزم ماريو الصمت) لم يكن هو يا ماريو! (ماريو لا يرد) هل كنت تقصد شخصاً آخر؟ (ينهض ماريو ولا يجيب. تصبح نبرة صوت بيثينتي خشنة) ألا ترى أن هذا وهم وخداع؟ (يتجه ماريو إلى المنور) إن كانت هذه هي المعجزات التي تراها من هنا، فهي مضحكة! وإن كانت طريقتك هذه في التعرُّف إلى الناس، فأنت في ورطة! (في الوقت نفسه الذي يمرُّ فيه ظل شخص، يغلق ماريو المنور ويحكم إغلاق مقبضه غير المرئي. تتلاشى بقعة ضوء القضبان المعكوسة على الجدار) أو أنك ستؤكد أنه هو؟ لم يكن هو!

ماريو : **(**يلتفت إلى أخيه**)** ربّما لم يكن هو. وربّما تكمن المعجزة في هذا الشيء بالتحديد.

(يعود إلى طاولته، ويأخذ من عليها سيجارة، ثم يشعلها. تأثر بيثينتي؛ وراح يتابعه بنظره. يريد أن يتكلم ولكنه يتردد ويندم. يتذبذب الضوء ويقوى في الجهة الأمامية. تدخل إنكارنا من جهة اليسار، تنظر إلى اليمين، تنظر إلى ساعتها ثم تجلس إلى جانب طاولة المقهى. ينهض الوالد وهو يحمل في يده دمية من قصاصته الورقية**)** .

الأب : خذ يا سيد. **(**ينظر بيثينتي إليه محتاراً**)** على المرء أن ينجب أولاداً وأن يعتني بهم. خذ واحدة. **(**يأخذ بيثينتي دمية. يشرع الوالد في الذهاب إلى كرسيه إلا أنه يتوقّف**)** ألا يبكي مجدداً؟ **(**ينظر إليه بيثينتي مندهشاً**)** أسمعه في الممر.

(يتجه إلى الممر. يفتحُ باب العمق وتدخل الوالدة حاملة كيساً صغيراً**)**.

الأم : **(**بينما تغلق**)** لقد اضطررت للانتظار يا بنيَّ. سأحضر حالاً وجبة مسائية خفيفة.

الأب : لم يعد يبكي.

(يجلس ثانياً لرؤية المجلات).

الأم : أحضرت لك الفطائر. (تعرض الكيس الصغير وتدعه على خزانة الأدراج) سأسخن الحليب على الفور. (تركض صوب الممر ثم تتوقف عند سماع صوت ابنها).

بيثينتي: (ببرود). أنا آسف يا أماه. عليّ الذهاب.

الأم : ولكن بني...

بيثينتي: تأخرت كثيراً. (يقترب من الوالد ويعيد له الدمية الورقية التي حفظها بيده. ينظر الوالد إليه. يتردد بيثينتي وأخيراً يحفظها في جيبه) مع السلامة يا أماه.

الأم : (كانت قد فتحت بسرعة كيس الفطائر) خذ فطيرة واحدة على الأقل...

بيثينتي: لا، شكراً. أنا في عجلة من أمري. (يقبّلها ويودع أخاه دون أن ينظر إليه) إلى اللقاء يا ماريو. (يتجه صوب الممر).

ماريو : إلى اللقاء.

الأم : زرنا قريباً.

بيثينتي: سأفعل عندما يتسنّى لي ذلك يا أمي. إلى اللقاء.

الأم : **(**تقبّله مجدداً**)** رافقتك السلامة... **(**يخرج بيثينتي. يطفئ ماريو سيجارته بشكل عنيف، وباغتباطٍ يأخذ فطيرة بطريقة غير معتادة ويبتلعها. تنظر إليه الوالدة بفضول**)** سأناولك أنت الحليب إذاً.

ماريو : هذه الفطيرة فقط. **(**يأخذ علبة الدخان ويحتفظ بها**)** سأغادر أنا أيضاً. **(**ينظر إلى ساعة يده**)** إلى اللقاء. **(**يُسمع صوته عبر الممر وكأنه بوقٌ**)** كم هي لذيذة هذه الفطيرة يا أماه!

(يخرج ماريو. تلتفت الأم إلى زوجها وهي تفكر**)**.

الأم : لو كنا نستطيع أن نتكلم كما في السابق هل كنت لتقول لي...

(تتنهد وتتجه صوب المطبخ مغلقةً بابه خلفها. صمت قصير. يُسمع بالقرب صوت فرملة سيارة مسرعة. تنظر إنكارنا

إلى اليمين وتشعر بالقلق. تدير ظهرها قليلاً لتخفي وجهها. يظهر بيثينتي من الجهة اليمنى ويصل إلى جانبها).

بيثينتي: ماذا تفعلين أنت هنا؟

إنكارنا: أهلاً بك! يا لها من مفاجأة!

بيثينتي: تماماً!

إنكارنا : كنت أنتظر صديقتي. (تنظر إلى ساعتها) لن تأتي بعد الآن.

بيثينتي: كيف عرفتِ؟

إنكارنا: مضى وقتٌ على مكوثي هنا.

بيثينتي: (يشير إلى مائدة المقهى) دون أن تشربي شيئاً؟

إنكارنا: (تزداد إنكارنا توتراً) لقد شربت بيرة... وأخذوا الكأس.

(تنظر متوترة عبر المقهى غير المرئي. لحظة صمت. يلقي بيثينتي نظرة مريبة إلى جهة اليمين).

بيثينتي: يسكن والداي وأخي بالقرب من هنا... هل تعرفين ذلك؟

إنكارنا : يا لها من مصادفة.

بيثينتي: (بنبرة مزاح**)** لعله صديقك من كنت تنتظرينه؟

إنكارنا: (محمرة**).** لا أحب هذا النوع من الدعابات.

بيثينتي: ألا تدعينني إلى الجلوس؟ بإمكاننا أن ننتظر صديقتك معاً.

إنكارنا : ولكنها لن تأتي**! (**تخفض رأسها بارتعاش**)** ولكن... كما تشاء.

بيثينتي: (يحدق بها**)** يستحسن المغادرة. الآن لا مانع لديك من أن تكرّسي لي هذه الليلة...

إنكارنا:بالتأكيد**! (**تنهض بامتعاض**)** إلى أين نذهب؟

بيثيتني: إلى بيتي طبعاً.

(يمسكها بذراعها ويخرجان من الجهة اليمنى. تنطلق السيارة. صمت قصير. يُسمع صوت نقرات على زجاج. يرفع الأب نظره عن مجلاته وينظر، دهشاً، إلى المنور. يدخل ماريو من الجهة اليمنى في القسم الأمامي لخشبة المسرح ولما يرى مائدة المقهى فارغة يقطّب حاجبيه. ينظر إلى ساعته؛ وترتسم على وجهه أمارات

فقدان الأمل. يقترب من طاولة المقهى بتردد، وأخيراً يجلس، وتظهر خيبة الأمل على وجهه. صمت. يعود صوت النقرات على الزجاج. الوالد الذي يرصد النقرات ينهض ويسرع نحو المنور ويفتحه بعد أن تأكد بنفسه أن أحداً لم يره. يتقلّص ضوء الجزء الأمامي لخشبة المسرح بشكلٍ واضح. يظهر ماريو بصورة ظل جامدٍ. يعود لتنعكس بقعة ضوء المنور على جدار غرفة الجلوس. مخفضين رؤوسهم لكي يختلسوا النظر، ترتسم ظلال طفلين وبنت عبر المنور).

صوت صبي: (بين ضحكات رفيقيه**)** كيف تسير أمورك يا شيخ؟

الأب : (يضحك معهم**)** مرحباً**!**

صوت الصبي الآخر : هل من الممكن أن تعطينا بطاقة بريدية يا شيخ؟

صوت صبي: من الأفضل سيجارة**.**

الأب : (سعيداً**)** لا يجوز التدخين يا أشقياء**!**

صوت البنت: هل تأتي معنا إلى الساحة الصغيرة يا شيخ؟

الأب : انتبهي إلى نفسك في الساحة يا ألبيريتا**!** ما زلتِ صغيرة جداً**! (**ضحكات الأولاد**)** ماريو**!** بيثينتي**!** انتبها إلى ألبيريتا**!**

صوت الصبي الآخر : (بين ضحكات الجميع**)** تعال والعب معنا يا شيخ**!**

الأب : (ضاحكاً**)** نعم، نعم، إلى اللعب**!**

صوت الصبي: مع السلامة يا شيخ**!**

(يقف ظل الصبي**).**

الأب : بيثينتي**!** ماريو**!** ألبيريتا**! (**تشرع الظلال تذهب بين أصوات ضحكٍ**)** انتظروني**!**

صوت البنت: مع السلامة**!**

(تتلاشى الظلال**).**

الأب : (يعلو صوته على ضحكات الأولاد الذين يبتعدون**)** ألبيريتا**!**

(يشهق الوالد بكاءً بشكل لا إرادي في صمتٍ**.** يسود الظلام تدريجياً في حين تنير بقعتا ضوء الباحثين اللذين دخل كل منهما على حدة**).**

هي : **(**مبتسمة**)** عودوا الآن إلى القرن الذي نعيش فيه. لقد انتهى الجزء الأول من الاختبار.

(تبدأ الستارة بالنزول**)**

هو : شكراً لإصغائكم.

(إسدال الستارة)

الفصل الثاني

(تبدأ الستارة بالارتفاع رويداً رويداً، وتبدأ معه الاهتزازات الضوئية. يدخل الباحثان، كل منهما من جهة، وتسلط على كل واحدٍ منهما بقعة ضوء قوية، في حين تغرق بقية الخشبة في ظلام. يبدأ الضوء يعلو إلى حدّ ما في كل من المكتب وغرفة الجلوس. تظهر إنكارنا ثابتة وجالسة إلى منضدة المكتب. تظهر الوالدة وبيثينتي متعانقين دون حراك في ظلمة الممر المخيمة).

هي : وهنا يبدأ الجزء الثاني من اختبارنا.

هو : جرت مشاهده الأولى بعد ثمانية أيام مما شاهدتموه (يشير إلى الخشبة). كانت أجهزة العرض قد بدأت العمل، ولذا نرى تجليات ما تزال جامدة دون حراك إلى الآن.

هي : المقاطع الجزئية مما أمكن إنقاذه من أحداث تلك الأيام غير ضرورية. لقد رأينا فيها إنكارنا وبيثينتي يعملان في المكتب دون حديث بينهما تقريباً.

هو : كذلك رأيناهما في حجرة نوم، حجرة نوم بيثينتي على الأغلب، وهما يمارسان الجنس بشكلٍ روتيني.

هي : تمكنّا أيضاً من التقاط بعض المشاهد تشير إلى طبيعة العلاقة القوية بين ماريو ووالديه. دمى مقصوصة، مسودات مصحّحة، جمل غير مفيدة. أوقات فارغة.

هو : لكننا لم نلتقط أي لقاء جديد بين ماريو وإنكارنا.

هي : دون أدنى شك، لم يلتقيا.

هو : يستأنف الاختبار برؤىً خارقة الوضوح في أثناء زيارة غير متوقّعة لبيثينتى إلى بيته القديم.

(يعود الضوء إلى درجته الطبيعية في المكتب وغرفة الجلوس. تبدأ إنكارنا التحرك ببطء).

هي : تتذكرون أن شقيقه ماريو كان قد قال له : «تزداد زياراتك كل مرة أكثر».

هو : **(**مشيراً إلى المسرح**)** بقية القصة ستكشف لنا الدوافع لزيارات بيثينتي المتكررة.

(يخرج هو وهي من الجانبين. يعلو الضوء الوالدة وابنها. تراجع إنكارنا بعض الأوراق وهي ترتّب رسائل بغرض الأرشفة. تعابير وجهها ذابلة. الوالدة وبيثينتي يتوقفان عن العناق. في أثناء محادثتهما تذهب إنكارنا إلى خزانة الملفات وتضع بعض الأوراق، ثم تتوقّف وتفكّر ملياً قبل أن تعود إلى المنضدة لمتابعة عملها).

الأم : **(**بعذوبة**)** أشعر أنك شخصٌ آخر. تزداد زياراتك أكثر **(**بيثينتي يضحك.**)** هيّا هيّا... تفضّل. هل ترغب في شرب شيء؟ لا يوجد حليب، ولكن بإمكاني أن أقدّم لك فنجاناً من اليانسون.

(يصلان إلى غرفة الجلوس**)**.

بيثينتي: لا شيء يا أمي، أشكرك.

الأم : ما رأيك في كوب من النبيذ الأحمر؟

بيثينتي: لا أريد شيئاً يا أمي. **(**تتأمل إنكارنا مكتئبة**)**.

الأم : يا لسوء حظي!

بيثينتي: لا تعيري أهميةً كبيرةً لهذا الأمر!

الأم : ليس هذا السبب! كان يجب عليّ مساعدة السيّدة «غبريالا». إنها تريد منّي أن أعلّمها كيفية صنع البيض مع صلصة الحليب والدقيق. إنها غبية...

بيثينتي: اصعدي إذاً.

الأم : فلتنتظر! خرج والدك للتنزه مع السيد «أنسيلمو». لن يتأخرا في عودتهما ، ولكنهما سيصعدان إلى بيت أنسيلمو.

بيثينتي: (يجلس وشكله متعب) حتى ماريو ليس هنا؟

الأم : لا، ليس هنا أيضاً.

(تترك إنكارنا الأوراق وتضع رأسها بين يديها).

بيثينتي: كيف حال أبي؟ (يُشعل سيجارة).

الأم : جيد، على حاله.

(تتجه إلى الطاولة الصغيرة لتجلب له منفضة ماريو).

بيثينتي: ألا يزال سريع الغضب؟

الأم : **(**بخجل**)** هل تقول هذا... بسبب التلفاز؟

بيثينتي: انسي الموضوع.

الأم : كان دائماً سريع الغضب... لقد كان ذلك قبل مرضه.

بيثينتي: لقد مضى وقت طويل على ذلك.

الأم : إلا أني أتذكّر.

(تضع المنفضة إلى جانبه**)**.

بيثينتي: شكراً.

الأم : أعتقد أنَّ والدك والسيّد أنسيلمو قد وصلا وهما في الطابق العلوي. سأذهب لأرى.

(تتّجه إلى العمق**)**.

بيثينتي: والقطار... هل تذكرينه؟

(تلتفت الوالدة ببطء وتنظر إليه. في الوقت نفسه يرن هاتف المكتب. ترتاع إنكارنا وتنظر إلى الهاتف دون أن تتجرأ على الرد**)**.

الأم : أي قطار؟

بيثنيتي : (يضحك بمجهود) يا لذاكرتكِ الضعيفة**!**

(يتواصل رنين الهاتف**.** تنهض إنكارنا وهي تحدق به وتفرك يديها**).** لم يفُتْكم غير قطار واحدٍ على حدِّ علمي**... (**تقترب منه الوالدة وتجلس إلى جانبه**.** تذهب إنكارنا إلى الهاتف إلا أنها سرعان ما تندم**)** أو أنك نسيتِه؟

الأم : وأنت، لماذا تتذكّر هذا الآن؟ هل لأن والدك مهووس بهذا الجنون الغريب بأن المنور قطار؟ ولكن ليس هناك أيّ صلة**.**

(يتوقّف رنين الهاتف**.** تجلس إنكارنا وهي منهارة**).**

بيثينتي : بالتأكيد ليس هناك صلة**.** ولكن كيف لي أن أنسى ذلك؟

الأم : كان مؤلماً أنك لم تتمكن من النزول**.** ولكن الذنب كله على هؤلاء الأفظاظ الذين أمسكوا بك**...**

بيثينتي: ربّما لم يكن عليّ الإسراع في الصعود**.**

الوالدة: إلا أنَّ والدك هو الذي أمرك بذلك**!** ألا تذكر؟ كان علينا جميعاً المحاولة مهما كلف الأمر**.** وأنت بخفتك

كنتَ الوحيد الذي نجح في تسلّق نافذة ذلك الحمام، في حين أنهم منعونا حتى من أن نطأ العتبة.

(يدخل ماريو من الجهة الأمامية اليسرى للخشبة حاملاً كتاباً تحت إبطه، إنّه عابس ويتلاعب بدليل هاتف. كان الضوء قد سبق وازدادت شدته على مائدة المقهى. يجلس ماريو إلى طاولة المقهى. ترفع إنكارنا عينيها المحمرتين وتشرد في تأمل الفراغ: لعلها تتخيل ماريو حيث يوجد حقاً. في أثناء هذه اللحظات يتلاعب ماريو بدليل الهاتف على مائدة المقهى وهو غارقٌ في تأمله).

بيثينتي: (في أثناء ذلك) يا للطفلة المسكينة!

الأم : صحيح يا بني، كان ذلك مفجعاً. (تشرد. تبادر إنكارنا إلى النهوض، تنظر إلى ساعتها وعلى وجهها أمارات شكٍ، ثم تتّكئ على الأثاث في صراع داخلي مع نفسها. تنتهي الوالدة من تذكّر الحادثة المؤلمة) اللعنة على الرجال الذين يشنّون الحروب! (يرنّ جرس البيت) قد يكون شقيقك. (تتّجه نحو العمق وتفتح الباب. إنه زوجها الذي يدخل دون أن ينبس ببنت شفة، ويتابع حتى غرفة الجلوس، في

حين تطل الوالدة على عتبة الباب ثم تنادي أحداً غير ظاهر للعيان) شكراً يا سيّد أنسيلمو! قل للسيّدة غبريالا إني سأصعد حالاً. (تغلق الباب وتعود، في حين ينظر الوالد إلى بيثينتي من عتبة غرفة الجلوس) انظر! لقد جاء صغيرنا بيثينتي.

الأب : بكل تأكيد... أنا صغيرك بيثينتي.

الأم : بل بيثينتي ابنك يا مغفل!

(تضحك).

الأب : مساء الخير أيها السيّد، لدي بعض الأشياء التي تخصك هنا.

(يذهب إلى الطاولة ويبعثر بطاقاته).

الأم : أتمانع أن أتركك معه هنيهةً من الوقت؟ لقد وعدت أن أصعد...

الأب : ربّما في صالة الانتظار.

(يذهب إلى خزانة الأدراج، يفتح درجاً ويقلّب بعض الدمى الورقية).

بيثينتي: اصعدي يا أمي. سأعتني به.

الأب : لم أعثر عليه هنا...

الأم : على كل حال، إن جاء ماريو وتوجب عليك المغادرة فـ...

بيثينتي: لا يهمّك، سأنتظر حتى نزولك.

الأم : **(**تبتسم له**)** سأعود حالاً يا ولدي. **(**تخرج راكضة من العمق وهي تهمهم**)** يا للجارة العجوز الملعونة هذه، إنها لا تهتمّ إلا بإزعاجي.

(تفتح وتخرج مغلقة الباب. ينظر بيثينتي إلى والده. يتأمل ماريو وإنكارنا في البعيد. تبلل إنكارنا شفتيها وتتهيأ لاختبار قاسٍ. تغطي بسرعة عصبية الآلة الكاتبة وتأخذ محفظتها، وتضع يدها على قفل الباب وتلهث خائفة. أخيراً تفتح الباب وتخرج مغلقة إياه خلفها. ماريو، قانط على خلفية الانتظار الطويل غير المفيد، ينهض ويعبر الخشبة ليخرج من الجهة اليمنى. يغلق الوالد درج الخزانة ويعود).

الأب : ليس موجوداً هنا. **(**يضحك**)** حضرتك لست في أي مكان.

(يجلس إلى الطاولة ويفتح مجلة**)**.

بيثينتي: **(**يسحب بطاقة بريدية من جيبه ويضعها أمام والده**)** هل أنا هنا يا أبي؟

(يتفحص الوالد البطاقة بإمعان ثم ينظر إليه**)**.

الأب : شكراً أيها الشاب. أنا دائماً في حاجة القطارات، فهي دائماً مكتظة.

(ينظر من جديد إلى البطاقة. يضعها جانباً ويعود إلى مجلته**)**.

بيثينتي: أصحيحٌ أنك لا تذكرني؟

الأب : هل تحدثني أيها السيد؟

بيثينتي: أنا ابنك يا أبي.

الأب : ها ها ها! منذ زمن وإلى الآن والجميع يريد أن يكون ابناً لي. من بعد إذنك سأقصُّ هذا الرجل، أعتقد أنني أعرف من هو.

بيثينتي: وأنا... هل تعرف من أنا؟

الأب : لقد قلت لك إنك لست في أرشيفي.

بيثينتي : (يعود ويضع أمامه من جديد بطاقة القطار). ولا هنا؟

الأب : ولا هنا.

(يستعد للقص).

بيثينتي: وماريو؟ أتعرف من هو؟

الأب : إنه ابني إلا أنني لم أره منذ سنوات.

بيثينتي: إنه يسكن هنا معكم.

الأب : (يضحك) لعله في صالة الانتظار.

بيثينتي : وهل تعرف حضرتك من هي إلبيريتا؟ (يتوقّف الوالد عن الضحك وينظر إليه. فجأة ينهض ويتّجه نحو المنور، يفتحه وينظر إلى الخارج. تمرّ ظلال مارة مقطوعة الرأس). كلا. كلا لم يركبوا القطار.

الأب : (يعود غاضباً) صعدوا جميعاً. الجميع أو لا أحد!

بيثينتي: (يقف) لم يستطع الجميع الصعود! ولا داعي للحقد على من نجح في الصعود!

(يمرّ صديقان يتحدثان**.** يعبر ظل سيقانهما ببطء**.** يكاد لا يمكن تمييز كلامهما**).**

الأب : اسكت**!** ألا تسمعهما؟

بيثينتي: أناس يمرّون**.** **(**تعبر ظلال أخرى**)** ألا ترى؟ شياطين مسكينة لا نعرفها**.** **(**بانفعال**)** عد إلى الجلوس يا أبي**!** **(**مذهولاً، يعود الوالد رويداً رويداً إلى مكانه**.** يمسكه بيثينتي بذراعه ويساعده بلطف على الجلوس**).** لا تسأل كثيراً عن الأشخاص الذين يمرون أو عمَّن يظهر في هذه البطاقات**...** لا علاقة لهم بك، والعديد منهم قد مات**.** في المقابل، ولداك الاثنان لا يزالان على قيد الحياة**...** عليك أن تتعلم أن تعترف بهما**.** **(**تمرّ ظلال سريعة وتُسمع أصوات**:** «هيّا بنا، أسرِع وإلا لن نصل في الوقت المناسب**!**» «بل سنصل يا رجل**!** لدينا ما يكفينا من الوقت**!**»**)** كما تسمع**:** هم أشخاص عاديون يهتمّون بأمورهم الخاصة**.**

الأب : لا يريدون أن يفوتهم القطار**.**

بيثينتي: **(**يهتاج غضباً**).** هذا شارع يا أبي**!** إنهم يركضون كي لا تفوتهم الحافلة أو لأنهم تأخروا في الوصول إلى السينما**...** **(**تعبر، في الاتجاه المعاكس لظلال الأرجل السابقة، ظلال أرجل شابتين تُسمع أصواتهما**:** **«**لم تكن ترغب لويسة بذلك إلا أن بيثينتي أصر على الأمر فإذ بها أن**»...** يبتعد صوتهما ولا يسمع**.** ينظر بيثينتي إلى المنور متفاجئاً**.** يعقّب متردّداً**)** لا شيء**...** كلام بنات**...**

الأب : لقد ذكروا اسم بيثينتي**.**

بيثينتي: **(**متوتراً**)** بيثينتي آخر**!**

الأب : **(**يمتلكه الحماس ويحاول أن ينهض**)** يتكلّمون عن ابني**!**

بيثينتي : **(**يمسكه ويشدّه إلى الكرسي**)** أنا هو ابنك**!** هل لديك شيء تريد قوله لابنك؟ هل لديك ما تعاتبه عليه؟

الأب : أين هو؟

بيثينتي: أمامك**.**

الأب : **(**بعد أن يحدّق به بإمعان يعود إلى قص بطاقته وهو**...)** انصرف حضرتك[1]**!**

(تعبر ظلال**.** يتنهّد بيثينتي ويقترب من المنور**).**

بيثينتي: لماذا لا تقول لي «انصرف» بدلاً من «انصرف حضرتك»؟ أنا ابنك**.**

الأب : **(**يحدق به بعينين باردتين**)** انصرف إذاً**.**

بيثينتي: **(**يلتفت في الحال**)** آه**!** أخيراً اعترفت بي**!** **(**يقترب منه**)** دعني أقل لك إذاً إنَّ حكمك عليَّ خطأ**.** إذ إني لم أكن في ذلك الحين إلا ولداً صغيراً**.**

الوالد : **(**منتبهاً إلى المنور**)** اسكت**!** إنهم يتكلّمون**.**

بيثينتي: لا أحد يتكلّم**!**

(بينما يقول بيثينتي ذلك يعبر المنور ظلّ أرجل ذكورية، وتتّبعها ساقا امرأة ببطء**.** تتوقَّف الظلال وتُسمع أصوات**).**

---

(١) يستخدم ضمير الغائب في اللغة الإسبانية للمفرد المخاطب كدلالة على الاحترام، فيقال حضرتك**.**

صوت أنثوي: (بعد جملة بيثينتي مباشرة**)** هل كنت ستحميهم؟

بيثينتي: (بعد الصوت الأنثوي مباشرة**)** ليس في هذا الكلام ما يهمّنا**!**

(ما إن انتهى من نطق جملته حتى التفت مذهولاً إلى المنور**.** الظل الذكوري الذي كان على وشك الاختفاء يظهر مجدّداً**).**

صوت ذكوري: هيّا بنا**!**

صوت أنثوي : أجبني أولاً**!**

صوت ذكوري: لا أريد الحديث عن هذه الترهات**.**

(يظهر من خلال الظل المنعكس عبر المنور أن الرجل أمسك بالمرأة في محاولة منه لجعلها تمشي، وأن المرأة قاومته**).**

صوت أنثوي : لو أنجبنا أولاداً، هل كنت ستحميهم؟

صوت ذكوري : لقد قلت لك هيا بنا!

(يدفع الرجل المرأةَ**).**

صوت أنثوي : (متضايقة**)** قل لي**...** هل كنت ستحميهم؟

(تتلاشى الظلال).

بيثينتي: (على غير بعضه) هذا غير ممكن**...** إنها مصادفة أخرى؟ **(لوالده)** أو هل مرّ أحد؟

الأب : عروسان**.**

بيثينتي: أكانا يتحدثان أم لم يقولا شيئاً؟

الأب : (بعد لحظة) لا أعرف**.**

(ينظر إليه بيثينتي وهو شاحب، ثم يلقي نظرة على المنور ويغلقه بعنف**).**

بيثينتي: (يتكلّم مع نفسه مرتعشاً**)** لن أعود إلى هنا**...** يجب عليَّ ألا أعود**...** كلا**. (**يبدأ الوالد في الضحك بهدوء ولكن مطولاً دون أن ينظر إليه**.** بيثينتي يدير ظهره وينظر إليه شاحباً تماماً**)** لا**!... (**يتراجع نحو خزانة الأدراج رافضاً**)** لا**.**

(يسمع صوت قفل الباب. يدخل ماريو ويغلق خلفه ثمّ يصل إلى غرفة الجلوس).

ماريو : (مدهوشاً**)** مرحباً**.**

بيثينتي : أهلاً.

ماريو : ما بك؟

بيثينتي : لا شيء.

ماريو : **(**ينظر إلى الاثنين**)** وأمي أين هي؟

بيثينتي : صعدت إلى بيت السيّدة «غابريالا».

(يعبر ماريو ليضع على طاولته الصغيرة الكتاب الذي أحضره معه**)**.

الوالد : **(**يدندن غناءً**)**:

روسيتا ممشوقة القوام

بيثينتا بهيّة الحُلّة

ماريو : **(**يلتفت وينظر إلى شقيقه**)** شيء ما حدث معك.

بيثينتي : اخرج من هذا البيت يا ماريو.

ماريو : **(**يبتسم ويتمشّى**)** لكي نلعب اللعبة؟

الأب : تعال إلى هنا أيها السيّد. بالتأكيد لا تعرف من تكون هذه؟

ماريو : أيّ واحدة؟

الأب : هذه. **(يعطيه العدسة)** انظر ملياً.

(تدخل إنكارنا من الجهة الأمامية اليسرى وتتوقّف متردّدة إلى جانب مائدة المقهى. تنظر إلى ساعتها وتتردد في الجلوس أو عدمه**)**.

ماريو : **(**إلى شقيقه**)** هذا شارع مكتظ في فيينا.

الأب : مَن هي؟

ماريو : يكاد لا يمكن رؤيتها. إنها تقف إلى القرب من ترّاس مقهى. من تكون يا ترى؟

الأب : هذا ما أقوله!

ماريو : ماذا فعلت؟

الأب : هذا هو! ماذا فعلت؟

ماريو : **(**إلى شقيقه**)** وماذا فعلوا بها؟

الأب : أنا أعرف ما فعلوا بها. أعطني إياها أيها السيّد. هي ستقول لي ما تبقى. **(**ينتزع منه البطاقة وينهض**)** لكن ليس هنا، فهي لن تتكلّم أمام الغرباء.

(ينصرف باتجاه الممرّ وهو ينظر إلى البطاقة عبر العدسة ثم يدخل غرفته مغلقاً الباب**).**

بيثينتي : تعال إلى دار النشر يا ماريو. يمكنك أن تنام في بيتي في بداية الأمر. **(**ينظر إليه ماريو ويجلس على أريكة والده ممدداً رجليه**).** أنت في خطر: تتصرّف كما لو أنك نبي لإله مثير للسخرية... كما لو أنَّ لك ديناً له طقوسه الخاصة: البطاقات، المنور، الدمى الورقية... استيقظ.

(تتّخذ إنكارنا قرارها وتتابع مسيرها ببطء حتى تخرج من الجهة اليمنى**).**

ماريو : لقد أيقنت تماماً كم نحن غرباء، غير أنني أختار هذه الغرابة.

بيثينتي : تختار؟

ماريو : ليس بمقدور الناس جميعاً أن يختاروا أو أنهم لا يتجرؤون على ذلك. **(**يصلح بعض الشيء طريقة جلوسه ويتحدّث بهيبة**)** لحسن الحظ كان بإمكاننا أنت وأنا أن نختار. وأنا اخترت الفقر.

بيثينتي: **(**كان يتمشّى فيواجهه**)** من الممكن أن يكون لدينا طموحات وأن نوظفها في خدمة قضية نبيلة.

ماريو : **(**ببرود**)** أرجوك لا أريد سماع هذه الأمور السطحية... من يخدم قضية ما في تفانٍ لا يفكّر في ترقيته الخاصة، ومن ثمَّ، لا يترقّى هو نفسه. على العكس تماماً، حتى إنه في كثيرٍ من الأحيان يخسر حياته... لذلك لا تحدّثني أنت عن القضايا حتى ولو كانت أدبية.

بيثينتي: لن أناقشك. إن كانت هذه رغبتك فاستمر في تفكيرك هذا. ولكن، لا يمكنك التفكير بهذا الشكل في دار النشر!

ماريو : في دار النشر؟ **(**يضحك**)** ما هي لعبتكم هناك؟ فأنا لم أعد أعرف...

بيثينتي: أنت تعرف أنني رجل أملك أفكاراً متقدّمة. ليس في مجال الأدب فحسب.

ماريو : **(**ينهض ويتمشى**)** وهل المجموعة التي تموّلكم حالياً تحمل الأفكار نفسها؟

بيثينتي : ما أهمية هذا؟ نحن نستخدم أموالهم ولا شيء آخر.

ماريو : وهم،ألا يستخدمونكم أيضاً؟

بيثينتي: أنت لا تفهم! إنها لعبة ضرورية...

ماريو : بكل تأكيدٍ أفهم اللعبة! في البدء نكون ثواراً إلى حدٍّ ما ثم بعد ذلك نصبح محافظين... ولا مانع في ذلك ما دمنا نتباهى بالأفكار المتقدمة، فالمجموعة الجديدة تستخدمنا، ونحن نسمح لهم باستخدامنا طالما أننا نستخدمهم، ولننجح جميعاً! لأنه من يدرك اليوم ماذا يريد كل طرف من هذه اللعبة أن يلعب؟ وحدهم الفقراء هم الذين يدركون أنهم فقراء.

بيثينتي: ها أنت تتهمني مجدداً وهذا لا يعجبني.

ماريو : ودار نشرك لا تعجبني أيضاً.

بيثينتي: (يقترب منه ويمسكه من كتفه) لا أريد سماع جمل غير مكتملة!

ماريو : أكلّمك بوضوح! أي نوع من المناورات الكريهة ترتكبونها ضدّ بيلتران؟

بيثينتي : **(**محمراً**)** ماذا تقصد؟

ماريو : أتعتقد أنّه لم يلاحظ ذلك؟ روايته التي كنت على وشك طباعتها فجأة لا تطبع. وفي مسودات العدد الجديد من المجلة هناك ثلاث إشارات ضدّ بيلتران؛ واحدة منها في زاويتك. إضافة إلى مقال كامل ضدّه. لماذا؟

بيثينتي : **(**يدير له ظهره ويتمشّى**)** المشاركات في المجلة حرّة.

ماريو : وكذلك أنت حرّ في قبول هذه المشاركات أو رفضها. **(**بسخرية**)** أولست كذلك؟

بيثينتي: هناك أسباب لهذا كله**!**

ماريو : دائماً هناك أسباب لارتكاب خدعة قذرة.

بيثينتي: لكن، من هو بيلتران؟ أتظنّه اختار الظلام والفقر؟

ماريو : تقريباً، إلى الآن، لا يملك سيارة، أما أنت فلديك واحدة.

بيثينتي: يستطيع شراءها وقتما يريد**!**

ماريو : لكنه لا يريد. **(**يقترب من شقيقه**)** إنه يهتم بأشياء تختلف جذرياً عن تلك التي تستحوذ ك، فهو ليس شيطاناً مسكيناً

آخر يجري وراء تلفاز أو ثلاجة؛ ليس إنساناً حقيراً خلف مقود يفتخر بعرقلة السير في هذه المدينة البليدة... لقد اختار اللا مبالاة.

بيثينتي: أنت تهينني!

ماريو : إنه يجسّد أملاً آخر! لأنه علّمنا بأنه يمكننا النجاح بهذه الطريقة أيضاً... حتى لو كان ذلك مؤقتاً... **(بحزم)** وأنتم تقومون ضد هذا الرجل المثالي باختراع الأسباب المهمة لإلغائه. هذه هي دار نشرك. (ينظر كلٌّ منهما إلى الآخر بشدّة. يرنّ جرس البيت) لا أرغب في جرحك يا أخي، بل إنني أحاول إنقاذك. (يخرج إلى الممرّ. يفتح الباب ويجد إنكارنا أمامه ونظرها إلى الأسفل) أنتِ؟ (يلتفت تلقائياً إلى غرفة الجلوس ويخفض صوته) اذهبي إلى المقهى. سأكون هناك بعد قليل.

(ولكن بيثينتي أطلّ نحو الباب وعرف أنها إنكارنا).

بيثينتي: بالعكس، فلتدخل! مما لا شك فيه أنّها ليست زيارتها الأولى. تفضّلي إنكارنا! (إنكارنا تتردّد وتتقدّم، يغلق

ماريو الباب**)** كنت تعرفين أني أشك في ذلك**. (بحزم)** وماذا تفعلين هناك واقفة؟ **(تتقدّم إنكارنا وعيناها إلى الأسفل. يتبعها ماريو)** لم تخدعاني قط**:** فأنتما غبيّان جدّاً**.** ولكن، انتهت الألغاز كلّها**! (يضحك)** بما في ذلك ألغاز العجوز وأحجيات المنور**!** لم تعد هناك معجزات**.** لا يوجد إلا أناس لكل واحد منهم أفعاله الدنيئة**.** قد نكون كلنا منافقين ماكرين، ولكن أنتما أيضاً كذلك**.** إذاً هي من كانت تخبرك**...** آه؟ غير أنها لم تكن تحيطك علماً بكل شيء، طبعاً**.** هي أيضاً منافقة معك**.** النفاق المحض يا أخي**!** ولا شيء غيره، نفاق مزيّن بقليل من الرومانسية**...** خطبتها؟ هل قالت لك «النعم» الجميلة؟ **(**يجلس ضاحكاً**)** أو ليس بعد؟

ماريو : لقد أصبت، فهي لم ترغب**.**

بيثينتي: (ضاحكاً**)** بكلّ تأكيد**!**

ماريو : (إلى إنكارنا**)** هل قلتِ له شيئاً عن الرسالة؟

(هي تنفي).

بيثينتي: اجلسي يا إنكارنا**!** ارتاحي كأنّك في بيتك**!** **(**هي تجلس**)** فلنرَ**!** عن أيّ رسالة تريدان أن تحدثاني؟

(صمت**).**

ماريو : أنت تعرف أنّني إلى جانبك وأنني سأساعدك**.**

(صمت**).**

بيثينتي : أنتما تثيران فضولي**!**

ماريو : الآن أو أبداً يا إنكارنا**!**

إنكارنا : (كئيبة**)** لقد أتيت لأقول لك شيئاً**.** لك وحدك**.** وبعد ذلك، كنت سأتكلّم معه**.** ولكن الآن**...**

(ترفع كتفيها فاقدة الأمل**).**

ماريو : (يضع يده على كتفها**)** أقسم لك أننا لم نخسر شيئاً حتى الآن**.** **(**بعذوبة**)** أتريدين أن أقول له أنا؟

(تحرف نظرها عنه**).**

بيثينتي: هيّا يا رجل**!** تكلّم**!** دعنا نرى أيّ رسالة غامضة هذه**.**

ماريو : (بعد أن نظر إلى إنكارنا التي تهربت من نظرته) رسالة من دار نشر في باريس تطلب منكم حقوق المؤلّف لعمل بيلتران.

بيثينتي: (يفكّر في الأمر وينهض) صحيح... وصلت رسالة وضاعت. **(بنبرة تميل إلى الشك)** هل هي معكم؟

ماريو : (يتّجه نحوه). لقد عُثر عليها ممزّقة كليّاً في سلّة مهملاتك.

بيثينتي: (ببرود) تكرسين وقتك للتفتيش في سلات المهملات يا إنكارنا؟

ماريو : كان محض مصادفة! كانت ترمي ورقة فرأت العنوان وشدّ انتباهها.

بيثينتي: ولماذا لم تقولي لي؟ كنا مرّرنا نسخة إلى المعني بالأمر. لا تنسي أن تأخذيها معكِ غداً. **(تنظر إليه إنكارنا محتارة)** ربّما مزّقتها بشكل غير مقصود عندما أحرقت أوراقاً أخرى...

ماريو : (بهدوء) كاذب.

بيثينتي : لا أسمح لك بالشتائم**!**

ماريو : وحملة المجلة ضدّ بيلتران، هي كذلك غير مقصودة؟ إنه يكذب علينا يا إنكارنا**!** لا تسمحي له بذلك**!** بإمكانك أن تقولي له الكثير من الأمور الأخرى**!**

بيثينتي: بل هي لن تقول شيئاً أبداً**!** كما أنها لم تكن ستتكلم معي بشيء بعد حديثها معك، كما قالت، لأنها كذلك لم تظهر لك شيئاً خاصاً**...** إنها كذبة صغيرة أيضاً كي لا تفرض عليها أن تطرحَ عليّ عادتك الغريبة تلك**.** أليس كذلك يا إنكارنا؟ لأنه ليس هناك ما تعاتبينني به**...** هذا ما يتبقى لأولئك المتوهمين الذين ينظرون عبر المناور ويرون عمالقة في المكان الذي كان ينبغي أن يروا فيه طواحين**. (**يبتسم**)** لا يا أخي، هي لن تنبس بكلمة أبداً**! (**ينظر إلى إنكارنا التي تنظر إليه**)** ولا أنا**. (**تخفض إنكارنا رأسها**)** والآن، يا إنكارنا، اسمعيني جيّداً **:** هل ترغبين في البقاء إلى جانبي؟

(يخيّم الصمت**.** تنهض إنكارنا ضعيفة الإرادة ومحتارة**).**

ماريو : أجيبي**!**

إنكارنا: (تهمس منهكة إلى درجة كبيرة) أجل.

ماريو : كلا.

(هي تنظر إليه).

بيثينتي: ماذا؟

ماريو : غداً تتركين دار النشر يا إنكارنا.

بيثينتي: (ضاحكاً) ولكنها لا تستطيع! هذا ما أستطيع أن أقوله بثقة. هل جعلك المنور مجنوناً إلى درجة أنك حتى لم تنتبه إلى مواصفات الفتاة التي تخرج معها؟ ألم تكن تسمعها؟ ألم تكن تنظر إلى وجهها؟ هل كنت تنظر فقط إلى ساقيها مثلما تنظر إلى أولئك الذين يمرون عبر المنور؟ ألا تعرف أنها تكتب كلمة «espontaneo» بـ X ؟ وأنها تخطىء بين بلغراد وبروكسل؟ وأنها لم تتعلّم الطبخ ولا الخياطة، وأن ليس لها سوى مستقبل الفقر إلا إذا كانت إلى جانبي. وستبقى إلى جانبي، إن أرادت، لأنه، على الرغم من كل شيء، أقدّرها. هي تعرف ذلك. وتعرف أني أحبّ مساعدة الناس إذا كان ذلك بمقدوري. وأنتَ أيضاً تعرف ذلك.

ماريو : لقد أردت الإهانة عبر كلماتك الناعمة**...** يا للغباء**!** بيّنتَ لي حجم الرعب الذي تسببه لها**.**

بيثينتي: الرعب؟

ماريو : نعم**!** يا لكَ من دكتاتورٍ صغير**...** تلزم موظفيك في إمبراطورية عملك الصغيرة بالابتسامة في حين تدخر في حصالتك من مرتباتهم المتواضعة**!** يا لك من تلميذ سخيف لطاغيةٍ ينطق كلام المحبّ للغير كما يتكلم الطغاة جميعهم**!**

بيثينتي: سأغلق لك فمك**!**

ماريو : فليخجل هو من رعبك يا إنكارنا، لا أنت**!** أطلب منك السماح لأنني لم أفهم الأمر من قبل**.** لن تشعري بالرعب أبداً بعد الآن**.** لأنك تعرفين، أنّه هنا، ومنذ الغد، لديك مأوى يحميك**.**

بيثينتي:هل تطلب يدها للزواج؟

ماريو : بل أنا أعيد الطلب**!**

بيشينتي: ولكنها لم تقبل بعد. **(**ببطء**)** ولا أظنّها تقبل. **(**صمت**)** ألا ترى**!** لم تقل شيئاً.

ماريو : هل تريدين أن تكوني زوجتي يا إنكارنا؟

إنكارنا: **(**بعد هنيهة من الوقت وبصعوبة فائقة**)** لا.

(يلهث بيشينتي ويبتسم راضياً. ينظر ماريو إلى إنكارنا مذهولاً ويتّجه ببطء إلى أريكة والده للجلوس**)**.

بيشينتي: هيّا**!** لم يحدث شيء هنا. خداعٌ عاطفي ليس له أهمية. تبقى إنكارنا مخلصة لدار النشر، وأستطيع أن أخمن أنها ستبقى فيها أشدّ أخلاصاً من أي وقت مضى. لا تزعج نفسك في الذهاب من أجل المسودات فسأرسلها إليك لكي توفّر في زياراتك، التي ما من شك، أنّها لا تفرحك. كما أني سأريحك من زياراتي ولن أعود إلى هذا البيت إلا بعد فترة طويلة. هيّا بنا يا إنكارنا. **(**يتّجه نحو الممرّ ويلتفت إلى الخلف، إنكارنا التي بدا عليها التوتر بشكلٍ فظيع تنظر إلى الاثنين. يتلاعب ماريو، بحزنٍ قاتم، بالبطاقات**)**.

إنكارنا: ليس الأمر هكذا...

بيثينتي: (بحزم**)** لا أفهمك**.**

إنكارنا: ليس الأمر هكذا يا بيثينتي**... (**ينظر إليها ماريو**)** ليس الأمر هكذا**!**

بيثينتي: (يتقدم خطوة**)** هيّا، فلنذهب**!**

إنكارنا : لا! .. لا!

بيثينتي: هل تفضلين البقاء؟

إنكارنا: (بصرخة تشبه التوسل**)** ماريو**!**

بيثينتي:اسكتي وهيّا بنا**!**

إنكارنا: لقد جئتك لأخبرك بكل صغيرة وكبيرة يا ماريو**!** أقسم لك**.** وسأقول لك الشيء الوحيد المتبقّي لقوله**.**

بيثينتي: هل أنتِ مجنونة؟

إنكارنا: أنا كنت حبيبة أخيك**.**

(ينهض ماريو فجأة وتبدو عليه علامات القلق واضحة**.** وقفة قصيرة**).**

بيثينتي: **(**يتقدم خطوة بغضبٍ بارد**)** هنا يوجد خطأ صغير: إنها لم تكن حبيبتي فحسب بل لا تزال حبيبتي حتى البارحة على الأقل.

ماريو : يا وغد!

بيثينتي: **(**يرفع صوته**)** لأنها الآن، طبعاً، لم تعد كذلك. كما أنها لم تعد موظفتي...

ماريو : **(**يمسك شقيقه ويزعزعه**)** يا عديم الخجل!

إنكارنا : **(**تصيح وتحاول أن تفصلهما**)** لا!

ماريو : يا حقير!

(يضربه**)**.

إنكارنا : كلا، حباً بالله!

بيثينتي : هدّئ من روعك! هدّئ من روعك يا أحمق! **(**ينجح في ردعه. يقف الاثنان وجهاً لوجه يلهثان، في حين تتوسطهما إنكارنا وتنظر إليهما بضيق**)** هي حرّة!

ماريو : لم يكن أمامها غير هذا المخرج!

بيثينتي: لا تلجأ إلى مخيّلتك كي تقنع نفسك! لقد أحبّتني، وإن كان قليلاً، (تتراجع إنكارنا مضطربة نحو خزانة الأدراج) وهي ليست فتاة سيئة يا ماريو. تزوّجها إن شئت، فهي لم تعد تهمّني. صحيح أنها ليست فتاة سيئة إلا أنها حاذقة، حالها حال جميع النساء. وعلاوة على ذلك، فإنك إن لم تؤوِها فستبقى في الشارع دون مأوى، ومعها راتب شهر فقط. لديك شهر كامل للتفكير في الموضوع. هيّا أيها الفارس المقدام! امنحها يدك! أو أنك لا تتجرأ على ذلك؟ لا تقل لي إنّ لديك أحكاماً مسبقة عن هذه القضية: ليست هذه موضة أيامنا.

ماريو : لا يهمّني ماضيها!

بيثينتي : (يكتم ابتسامة خفيفة) نعم أفهمك. فجأة، في لحظة ما من الحاضر، لن تعود تهمك. تماماً مثلي. مرّي غداً إلى الصندوق يا فتاة. لك ظرف هناك. وداعاً.

(يهمّ بالمغادرة، ولكن كلمات ماريو توقفه).

ماريو : طبعاً، الظرف... تعطي واحداً وتنسى... إلا أنه لا يمكنك أن تنسى حتى وإن كنت لن تعود إلى هنا

أبداً! عند ارتكاب خدعتك القادمة تذكّر أنني، من هنا، سأحاكمك. (ينظر إليه ببرود شديد ويقول له بنبرةٍ غريبة) لأنني أعرف.

بيثينتي: (بعد دقيقة) عمَّ تتحدّث؟

ماريو : (يدير له ظهره) ارحل.

بيثينتي: (يقترب منه). شبعت من دسائسك؟ ماذا تقصد؟

ماريو : لقد دمّرت أناساً آخرين قبل إنكارنا... من المؤكد أنك فكّرت في هذا الشيء.

بيثينتي : بماذا؟

ماريو : بأن والدنا قد جُنَّ بسببك.

بيثينتي: لأني غادرت البيت؟ لا تجعلني أضحك!

ماريو : إن لم تضحك! (يتّجه نحو الطاولة ويلتقط بطاقة بريدية) خذ. تأخّر بنا الوقت لجلبها. (يتأثر بيثينتي وتحاول إنكارنا اختلاس النظر إلى البطاقة). أجل، يا إنكارنا، هذه هي البطاقة نفسها التي لم يرغب أن يحضرها قبل أيام، هو يعرف السبب.

بيثينتي: (ينتزع منه البطاقة) لا يحقّ لك أن تفكّر في ما تفكره!

ماريو : ارحل! ولا ترسل المزيد من الأغلفة!

بيثينتي: (ينفجر) لا يمكن أن يبقى الأمر على هذه الحال!

ماريو : (بضحكة عنيفة) طبعاً، أنت الأدرى!

بيثينتي: (يقبض البطاقة بيده بعصبية) لن يبقى الأمر على ما هو عليه الآن!

(يدير بيثينتي ظهره، يقطع الممرّ ويغادر البيت مغلقاً الباب بقوة. يكرّس ماريو نظرة طويلة ممتلئة بالحزن لإنكارنا، التي بدورها تبادله النظرة بجزعٍ كبير. يقترب من المنور وينظر غارقاً إلى الصفاء الخارجي).

إنكارنا: ماريو... (لا يجيب. هي تتقدم بعض الخطوات باتجاهه). كان يريد ألا أبوح بالأمر لكني بحت به... (صمت) في بادئ الأمر كنت أظنّ أني أحبّه... أو بالأحرى كنت خائفة ... كنت خائفة يا ماريو. (تخفض صوتها) وما زلتُ خائفة. (صمت طويل) أشفق على خوفي يا ماريو.

ماريو : (بحشرجة) ولكنك لم تعودي إنكارنا...

(تطرف إنكارنا بعينيها مرتعشة وتدرك في نهاية الأمر معنى تلك الكلمات. ماريو يهمس لنفسه الكلمات نفسها من جديد في حين ينفيها برأسه. تحني إنكارنا رأسها وتتّجه نحو الممرّ حيث تنظر إلى ماريو ثانيةً من هناك وعيناها محمرّتان، ثم تجتاز الممر بسرعة وتغادر البيت. ينخفض الضوء. هي وهو يظهران من جانبي الخشبة. تنير بقعة ضوء كل واحد منهما. هو يشير إلى ماريو الذي ظلّ جامداً بلا حراك).

هو : ربّما فكّر ماريو في تلك اللحظة أنه من الأفضل ألا يسأل عن أي شيء، وألا يسأل عن أحد.

هي : ذلك أنه من الأفضل عدم المعرفة.

هو : ولكنه دائماً يستحسن المعرفة وإن كانت معرفةً مؤلمة.

هي : بالرغم من أن المعرفة تؤدي بنا إلى جهلٍ جديد.

هو : بالفعل، من هذا؟ إنه السؤال الذي نستمر في طرحه.

هي : إنه السؤال الذي غزا، أخيراً، الكوكب في القرن الثاني والعشرين.

هو : لقد تعلمنا منذ صغرنا السبب: إن أكاذيب وكوارث القرون السابقة فرضته علينا كسؤالٍ لا يمكن تجنبه.

هي : ربّما كانت الأسئلة كثيرة، إلا أن الناس في تلك القرون الفظيعة، حافظوا على هذه الأسئلة في قلوبهم. هل كان يقال هكذا؟

هو : تماماً كما نقول الآن: في قلوبهم.

هي : الأشخاص الذين حافظوا في قلوبهم على هذا السؤال الكبير ربّما كانوا أشخاصاً غامضين، سكّاناً يعيشون في أقبية أو أماكن مشابهة، فقدوا بعض رشدهم.

(يتلاشى الضوء عند ماريو وشبحه يبتعد ببطءٍ**)**.

هو : نحن نرغب في استرجاع قصة تلك السراديب؛ كما نرغب في معرفة أولئك الذين كانوا فيها.كذلك نريد أن نعرف قصص الآخرين جميعهم: قصص أولئك الذين لم يطرحوا السؤال في قلوبهم.

هي : لسنا متضامنين مع من يعيش فحسب، بل مع الماضي بأكمله، وسنكون أبرياء مع من كان بريئاً ؛ كذلك سنكون مذنبين مع من كان مذنباً.

هو : على مدى القرون كنّا مضطرّين للنسيان كي لا يشلّنا الماضي؛ أما الآن فيجب علينا أن نتذكّر، دون انقطاع، كي لا يسمّمنا الماضي.

هي : إعادة أخذ الماضي على عاتقنا سيجعل تقدّمنا أبطأ، ولكن أمتن في الوقت نفسه.

هو : أن نشفق على كل واحدٍ من أولئك الذين عاشوا في الماضي، مهمّة مستحيلة، مجنونة. غير أن هذا الجنون هو محط فخرنا واعتزازنا.

هي : ولما كنا محكومين بعملية اختيار، فإنه يستحيل علينا استرجاع جملة الأزمنة والحيوات. ولكن في هذه المهمة يكمن الجواب عن السؤال الكبير، إن وجد جوابٌ له.

هو : ربّما كان لكلّ عصرٍ سؤال، وربما لا يوجد سؤالٌ. قدّم أحد الفلاسفة في القرن التاسع عشر إجابة معيّنة،

أصبحت تبعاً للمنطق الفظ السائد في القرن الذي تلاه عبثية. وها نحن أولاء نعود لنقدم إجابتنا، على أنّنا نجهل إن كانت صائبة... مَن هذا؟

هي : هذا هو أنت وأنت وأنت. أنا أنت وأنت أنا. عشنا كلّنا وسنعيش الحيوات جميعها.

هو : لو أن الجميع فكّروا عند ارتكابهم جرحاً، أو تعذيباً، أو قمعاً... أنهم هم أنفسهم الذين سيعانون من تلك المصائب لما كانوا ارتكبوها... لنفكّر هكذا في حين ننتظر وصول الجواب الصحيح.

هي : ولنفكّر هكذا، وإن لم يصل.

(يخيّم الصمت).

هو : ست وعشرون ساعة مضت بعد المشهد الذي شاهدتموه، ستُحلُّ عقدة هذه القصّة الغامضة في حجرة المنور.

(يشير إلى العمق حيث تبدأ التذبذبات الضوئية. يخرج الاثنان من جانبي خشبة المسرح. يستقرّ الضوء في غرفة الجلوس. الوالد وماريو قادمان من الممرّ. يتوقّف الوالد

ويصغي؛ يصل ماريو إلى طاولته الصغيرة ويجلس شارد الذهن يتصفح كتاباً).

الأب : من يتكلّم هناك في الخارج؟

ماريو : ربّما الجيران.

الأب : منذ بضعة أيام وأنا أسمع أصواتاً: بكاء، ضحكات... ها هم يبكون. **(يقترب من المنور)** ليس هنا أيضاً.

(يقترب من الممرّ).

ماريو : لا أحد يبكي.

الأب : هناك في الخارج... ألا تسمع؟ طفلة وامرأة مسنّة.

ماريو : (متأكّداً ممّا يقوله) صوت المرأة المسنة هو صوت الوالدة.

الأب : هاهاها! تقصد تلك المرأة التي تسكن هنا؟

ماريو : أجل.

الأب : لا أعرفها، ولكن أعرف الطفلة. **(غاضباً)** ولا أريدها أن تبكي!

ماريو : إنها لا تبكي يا والدي**!**

الأب : **(**يسمع**)** نعم، الآن لا تبكي**. (**يغضب من جديد**)** ومن كانت تلك التي صاحت منذ قليل؟ كان الصوت نفسه**.** وأنت تحدثت معها عند الباب**.**

ماريو : لقد كان بالخطأ**...** لم تكن تريد المجيء إلى هنا**.**

الأب : إنها هناك في الخارج**.** أسمعها**.**

ماريو : إنك مخطئ**!**

الأب : **(**ببطء**)**. عليها أن تدخل**.**

(ينظر كل واحد منهما إلى الآخر**.** يهمّ الوالد بالجلوس وينشغل في مجلة**.** صمت**.** يُسمع صرير المفتاح في القفل**.** تدخل الوالدة وتغلق ثم تصل إلى غرفة الجلوس**).**

الأم : **(**تنظر إلى ابنها خلسةً**)** اخرج قليلاً إن أردت ذلك يا بني**.**

ماريو : لا رغبة لي في الخروج**.**

الأم : **(**بقلقٍ**)** لم تخرج اليوم إطلاقاً**.**

ماريو : لا أريد الخروج**.**

الأم : (تتلعثم. تقترب منه وتخفض صوتها) هناك مَن ينتظرك على الدرج.

ماريو : أعرف.

الأم : لقد جلست على الدرج... وهذا سيثير فضول الجيران.

ماريو : سبق لي أن قلت لها أن ترحل.

الأم : دعها تدخل!

ماريو : لا!

الأم : دعها تدخل وتوضّحان الأمر!

ماريو : (ينهض ويتمشى) لو سمحت يا أمي! هذا ليس شجار أحباب، إنما هو شجارٌ حقيقي. لا يمكنك أن تفهمي الأمر.

(يخيّم الصمت).

الأم : منذ ساعة التقيت بتلك الفتاة على الدرج وأخذتها معي في جولةٍ. أخبرتني كل شيء، عندها طلبت منها أن تعود معي إلى البيت، وقلت لها إنني سأطلب منك السماح لها بالدخول. **(صمت)** يا للعار يا ماريو! سيثرثر الجيران...

لا تستمع إليها إن شئت، ولكن اسمح لها أن تدخل.
(ينظر إليها ماريو بغضب شديد ويذهب مسرعاً إلى غرفته كي يغلق على نفسه، وإذا بصوت والدته يوقفه**)**.
لا تريد لأنك لا تصدّق أنها أحاطتني علماً بكل ما حدث. لقد باحت لي أيضاً أنها كانت على علاقة بشقيقك.

(دهشاً، يغلق ماريو الباب الذي سبق له أن فتحه بقوةٍ**)**.

ماريو : **(**يقترب من والدته**)** وبعد أن عرفتِ هذا، ماذا تزعمين؟أن أتزوّجها؟

الأم : **(**بضعف**)** إنها بنت طيبة.

ماريو : أليس عليك أن تقترحي هذا الأمر على أخي؟

الأم : هو... أنت تعرفه...

ماريو : نعم، أنا أعرفه! وأنت يا أمي؟ تعرفين كيف هو ابنك المفضل؟

الأم : ليس المفضّل عندي!

ماريو : بكلّ تأكيد ستعذرينه أيضاً على ما فعله مع إنكارنا، بالمحصّلة ستعدّين الأمر طيش رجل. أليس كذلك؟

ومن ثم ستقولين دعنا ننسَ الأمر، حاله حال أشياء أخرى كثيرة. كم هو حسن! سيشتري لنا ثلاجة جديدة! وفي داخله ليس إلا طفلاً صغيراً! إذ لا يزال يتلذذ حينما يتناول الفطائر!

الوالدة: لا تتكلّم على هذا النحو.

ماريو : ليست إنكارنا فتاة سيئة! أليس كذلك!؟ وعلاوة على ذلك يمكن فهم ضعفها وهشاشتها! كما أنَّ براعة بيثينتي لطيفة للغاية! ولكن إنكارنا ليست المرأة التي تليق به؛ هو يستحقّ غيرها. أما لماريو فنعم، بمقدوره أن يتحملها!

الأم : ما أريده أنا هو أن يعيش كل واحد منكما أسعد حياة ممكنة...

ماريو : ولذلك تقترحين عليّ الزواج بإنكارنا؟

الأم : أقترح عليك أفضل شيء!

ماريو : لأنه لا يحبّها؟

الأم : (بانفعالٍ) لأنها تحبّك! (تقترب منه) في واقع الأمر شقيقك هو الخاسر، وليس أنت. إنه شأنه... لا أريد أن

أحاكمه... له مهارات أخرى... وهو ابني. **(**تمسك بذراعه**)** تلك الفتاة ذهب خالص، أؤكد لك. ولذا اعترفتْ لك البارحة بعلاقتها ببيثينتي.

ماريو : لا يوجد ذهب خالص يا أمي**!** لقد فقدت أعصابها، وهذا ما حدث بكلّ بساطة. ولا أريد أن أتحدث عن الموضوع أكثر من ذلك**!** **(**ينصرف عن الموضوع ويسمع جرس الباب. ينظر كلّ واحد منهما إلى الآخر. تشرع الوالدة في الذهاب لفتح الباب**)**. أمنعكِ من أن تسمحي لها بالدخول**!**

الأم : إن لم ترغب بذلك فلن تدخل هي.

ماريو : لا تفتحي إذاً**!**

الأم : قد يكون السيّد أنسيلمو أو زوجته...

الأب : **(**كان قد نهض وانحنى**)** أحييكِ باحترام يا سيّدة.

الأم : **(**تنحني متنهدةً**)** مساء الخير يا سيّد.

الأب : من فضلك، دعي الفتاة تدخل.

(ينظر الابن والوالدة كلّ منهما إلى الآخر**.** يرنّ الجرس من جديد**.** تتّجه الوالدة نحو الباب**.** ينظر الوالد إلى الممرّ**).**

ماريو : أيّ طفلة يا أبي**!**

الأب : **(**تبدو له هويتها ظاهرة**)** الطفلة**.**

(تفتح الوالدة الباب ويدخل بيثينتي**).**

بيثينتي: أهلاً يا أمّي**.** **(**يقبّلها**)** اسألي ماريو إن كان باستطاعة إنكارنا الدخول**.**

ماريو : **(**أطلّ عند سماع صوت شقيقه**)** لماذا أتيت؟

بيثينتي: لنهتمّ بتلك الفتاة قبل كل شيء**.** مؤكد أنك لا تفكر في تركها هناك طيلة فترة الظهيرة**...**

ماريو : وأنت أيضاً تخاف ثرثرة الجيران؟

بيثينتي : **(**بهدوء**)** اسمح لها بالدخول**.**

ماريو : أغلقي الباب يا أمي**!**

(تتردّد الأم للوهلة الأولى ثم تغلق الباب أخيراً**.** يتقدّم بيثينتي وتتبعه أمّه**).**

الأب : (يجلس ويعود إلى مجلته) ليست الطفلة.

بيثينتي : (مبتسماً وهادئاً) أنت وشأنك! في كل الأحوال، جئت لأقول لك شيئاً. أعترف أنني لم أتصرف جيداً مع تلك الفتاة... (إلى والدته) أنت لا تعرفين ما نتحدّث عنه يا أماه. سأشرح لك في ما بعد.

ماريو : بل تعرف.

بيثينتي: هل قلتَ لها ذلك؟ أفضل. أجل يا أمي، كان ذلك طيش من طرفي وسأحاول إصلاحه. كنت أودّ أن أقول لك يا ماريو إني كنت مخطئاً بطردها، وأودُّ إعادتها إلى عملها مجدداً.

ماريو : ماذا؟

بيثينتي: (فرحاً، يذهب ليجلس على الأريكة) لقد قلت لها هذا صباحاً عندما ذهبت لتسلّم الظرف.

ماريو : و... قبلت؟

بيثينتي: لم تكن ترغب، ولكنني لم أرغب في سماع رفضها أيضاً. كان من الضروري كتابة الرسالة لبيلتران، وكان يهمّني

أن تكون هي من ترسلها من مكتب البريد. وهذا ما فعلناه. (ينظر إليه ماريو بعينين قاسيتين ويتّجه بشكل مباغت إلى طاولته لأخذ سيجارة) سأكون صريحاً معك، من غير المؤكد أن تعود إنكارنا غداً... قالت إنها ستفكّر في الموضوع. لماذا لا تقنعها أنت؟ لا جدوى من صنع مأساة من أمور تافهة كهذه...

الأم : بكل تأكيد يا أولاد...

بيثينتي: (يضحك وينهض) كدت أنسى! (يُخرج بعض البطاقات من جيبه) هنا المزيد من البطاقات لك يا أبي. انظر كم هي جميلة.

الوالد : (يأخذها) آه! جيّد جدّاً... جيّد جدّاً.

ماريو : جيد جدّاً! بيثينتي يصلح ما يمكن له إصلاحه، يحب أسرته، أمي تبتسم له، وأبي يشكره، وإن كان محظوظاً، ربّما تلبّي إنكارنا احتياجاته من جديد... الحياة جميلة.

بيثينتي: (بهدوء) من فضلك...

ماريو : (ببرود) لماذا أتيت؟

بيثينتي : **(**بجدية**)** لتوضيح الأمور**.**

ماريو : أيّ أمور؟

بيثينتي : بالأمس قلت شيئاً لا يمكنني قبوله**.** وأريد ألا تعود إلى قوله من جديد**.**

ماريو : لن أقوله ثانية**.**

(يشعل سيجارته بهدوء**)**.

بيثينتي : غير أنك تفكّر فيه**!** وأريد أن أقنعك أنك مخطئ**.**

(تتابع الأم مراقبتهما باضطراب وتجلس في زاوية الغرفة**)**.

ماريو : نزولك هنا خطير عليك**...** أم أنك لا تعرف ذلك؟

بيثينتي : أنا لا أخاف من شيء**.** علينا أن نتحدّث وسنتحدّث**.**

الأم : ليس اليوم يا أولاد**...** يوم آخر عندما تكونا هادئين أكثر**...**

بيثينتي : ولكنك لا تعرفين ما يقوله يا أمي؟

الأم : في يومٍ آخر**...**

بيثينتي: لقد تجرأ على التأكيد بأن شخصاً محدداً، هنا في هذه الغرفة، أصبح مجنوناً بسببي أنا.

(يتمشّى).

الأم : الجنون تسبّبه الشيخوخة يا ماريو.

بيثينتي: هيهات يا أماه! هذا ما تعتقدينه أنت وأي شخص آخر عقله في رأسه. أما هو فيفكر في شيءٍ آخر تماماً.

ماريو : وأتيت لتمنعني من ذلك؟

بيثينتي: أتيت لنتحدث!

الأم : ولكن ليس اليوم... فأنتما الآن منزعجان.

بيثينتي: بل اليوم يا أمي.

ماريو : ها أنت تسمعين يا أمي، اتركينا وحدنا من فضلك.

بيثينتي: أبداً! قيمة كلامها تضاهي كلامك... أم أنك تريدها أن تذهب كي لا تكذّبك!

ماريو : أنت تريد إبقاءها كي تكون سنداً لك.

بيثينتي: وكي لا تبقى في كذبتك التي اخترعت.

ماريو : كذبة؟ **(**يقترب من والده**)** ماذا تقول أنت يا والدي؟

(ينظر إليه الوالد دون أن يرتسم على وجهه أي تعبيرٍ**.** ثم يبدأ يقص دمية من الورق**).**

بيثينتي: هو لا يستطيع أن يقول شيئاً**!** تكلّم أنت**!** واشرح لنا، إن استطعت، سبب جنونك هذا**!**

ماريو : **(**يلتفت وينظر إليه بقسوة**)** أمي إن كانت تلك الفتاة لا تزال في الخارج، فقولي لها أن تدخل**.**

الأم : **(**تنهض مدهوشة**)** الآن؟

ماريو : نعم، الآن**.**

الأم : لعل أخاك محقٌّ**!** هل أنت مجنون؟

بيثينتي: لا يهمّ يا أمي**.** فلتدخل**.**

الأم : لا**!**

ماريو : دعيها تدخل**!** إنها شاهد آخر**.**

الأم : على ماذا؟

(فجأة يخرج بيثينتي إلى الممرّ ويفتح الباب**.** تفرك الوالدة يديها باضطراب**).**

بيثينتي: ادخلي يا إنكارنا فماريو يناديك**.**

(يفسح الطريق لإنكارنا ويغلق الباب بعد أن دخلت**.** يصل الاثنان إلى غرفة الجلوس**.** ينظر الوالد إلى إنكارنا باهتمام شديد**).**

إنكارنا: (عيناها إلى الأسفل**)** شكراً يا ماريو**.**

ماريو : لم تدخلي هنا لكي تتكلّمي معي، بل لكي تسمعي**.** لذا اجلسي واسمعي**.**

(مرتابة من نبرة صوته القاسية، تذهب لتجلس في زاوية من زوايا الغرفة، ولكنها تتوقّف عند سماع صوت الوالد**).**

الأب : تعالي هنا إلى جانبي**...** فأنا أقص لك دمية**...**

الأم : (تشهق**)** يا إلهي**!**

(تتردّد إنكارنا**).**

ماريو **:** بما أنكِ لا تريدين المغادرة يا أمي، تفضلي اجلسي**.** **(**يقودها إلى كرسي**).**

الأم : ما سبب كل هذا يا بني؟

ماريو : (يقصد شقيقه**)** هو يريد ذلك**.**

الأب : (إلى إنكارنا**)** انظري كم هي جميلة**!**

(تجلس إنكارنا إلى جانب الوالد الذي يتابع قص الدمية**.** يجلس بيثينتي على كرسي الطاولة الصغيرة**).**

الأم : (مضطربة**)** ألا ينبغي لنا أن نأخذ والدك إلى غرفته؟

ماريو : هل تريد الذهاب إلى غرفتك يا أبي؟ سأجلب لك مجلاتك وقصاصاتك الورقية؟

الأب : لا أستطيع**.**

ماريو : ستتمتّع بهدوءٍ أكثر هناك**.**

الأب : (غاضباً**)** أنا أعمل الآن**! (**يبتسم لإنكارنا ويربت على يدها**)** سترين**.**

بيثينتي: (ساخراً**)** يا للوقار**!**

ماريو : (ينظر إلى شقيقه ويداعب رأس والدته**)** اغفري لنا الألم الذي سنسببه لكِ يا أمي**.**

الأم : (حانية رأسها) تبدو كأنك قاضٍ.

ماريو : أنا قاضٍ يا أمي، لأن القاضي الحقيقي لا يستطيع أن يحاكم. ولكن، ومن يدري؟... هل تستطيع أن تحكم بيننا يا أبي؟

(يبادره الوالد بنظرة غريبة. ومن ثم يعود إلى القص).

بيثينتي: ستحاكمنا أمنا وستحلّ محلّه، ومحلّك. لم تكن حينئذٍ أنت إلا طفلاً صغيراً.

ماريو : سنتكلّم في هذا الموضوع... ولكن انظر قبل ذلك إلى آخر ضحاياك، فجميعهم هنا.

بيثينتي: ما هذه اللغة! لا تجعلني أضحك.

ماريو : (رابط الجأش) يمكنك أن تنظر خلفك أيضاً. وإحدى ضحاياك ليس الآن إلا صورة. لقد التُقطت صورته عندما كان يكتب، لذا يبدو كأنه ينظر إليك الآن أيضاً. (يلتفت بيثينتي إلى الوراء لرؤية القصاصات والصور المعلقة على الجدار) نعم: إنه إيوخينيو بيلتران.

بيثينتي : لم آتِ لكي أتكلّم عنه!

الأب : (يقدِّم لإنكارنا دمية الورق المقصوصة) خذي! أليست جميلة؟

إنكارنا : شكراً.

(تأخذها وتبدأ بجعلكتها متوترة. يبحث الوالد عن صورة أخرى في المجلة).

بيثينتي : إنك على أتم الدِّراية بما أتيت للحديث عنه!

الأب : (إلى إنكارنا التي كلما زاد توترها أكثر ضغطت على الدمية الورقية وفركتها بيديها أكثر). احذري أن تمزقيها! (وبالفعل كانت إنكارنا تمزّق الورقة بتشنجٍ) ألا ترين!

إنكارنا : (بصعوبة) لا فائدة من البقاء صامتة... لا أريد كتمان الأمر أكثر من ذلك... أنا حامل.

(تئنّ الوالدة وتخبّئ رأسها بين ذراعيها. ينهض بيثينتي ببطء).

الأب : هل سمعتُ جيّداً؟ ستصبحين أماً؟ لا بدَّ من ذلك، لقد كبرتِ كثيراً! (تنفجر إنكارنا بكاءً) لا تبكي

يا طفلتي! إن إنجاب طفل أجمل شيء في الدنيا! (يبحث، وشكله محموم، في المجلة) سيكون مشابهاً لطفلٍ وسيمٍ جداً هنا. سترين.

(يقلب المجلة).

ماريو : **(إلى شقيقه بهدوء)** أليس لديك ما تقوله؟

(بيثينتي، محتاراً، يفرك وجهه بيده).

الأب : **(وجد الصفحة)** انظري كم هو جميل! أحببته؟

إنكارنا: **(تبكي)** نعم.

الأب : **(يأخذ المقص)** ولكن انتبهي إلى هذه الدمية! لا تمزّقيها.

(يبدأ في القص).

إنكارنا: **(باكية)** لا!

بيثينتي: سندرس أفضل الخيارات يا إنكارنا. سأعترف به وسأساعدك.

ماريو : **(بهدوء)** بوساطة ظرف؟

بيثينتي : **(**يصرخ**)** ليس هذا من شأنك**!**

الأم : عليك أن تتزوّجها يا بيثينتي**!**

إنكارنا: لا أريد أن أتزوّج منه**.**

الأم : يجب أن تتزوجا**!**

إنكارنا: كلا، لا أريد**.** ولن أفعل ذلك أبداً**.**

ماريو : **(**إلى بيثينتي**)** وتالياً، لا ينبغي أن نفكر في هذا الحل**.** ولكن لا تقلق**.** قد تصاب هي كذلك بالجنون وتعيش بسعادة**...** كحال الشخص الموجود إلى جانبها**.**

بيثينتي: سندرس أنا وهي الحلّ الأنسب لنا في ما بعد وليس الآن**!** لقد أتيت إلى هنا خصيصاً لكي نتحدث عن والدنا**.**

(يقف الوالد وينظر إليه**).**

ماريو : انتبه**!** هو أيضاً ينظر إليك**.**

بيثينتي: لا معنى لنظرته هذه**!** لماذا لم تكرّس نفسك لمراقبة أمنا بدلاً من مراقبته هو؟ انظر إليها**!** كانت دائماً ولا تزال

امرأة صريحة، جريئة. ليس هناك غشاوة في عقلها، مثلك أنت.

ماريو : يا لوالدتنا المسكينة! كيف كان لها أن تحيا طوال هذا الوقت دون أن تبتدع هذه السعادة المزيفة؟

بيثينتي: **(يضحك)** أسمعتِ يا أمي؟ يتهمك بأنك تتظاهرين بالسعادة.

ماريو : هي لا تتظاهر، ولكنها مخدوعة عن طيب خاطر.

بيثينتي: وطيب الخاطر ألم يخدعك أنت! والدنا على حاله هذه لأنه مسنّ ليس إلا.

(يجلس ويشعل سيجارة).

ماريو : ولكن الطبيب قال شيئاً آخر.

بيثينتي: مفهوم! الخلل الأخلاقي الشهير!

ماريو : سمعته أمنا كذلك.

بيثينتي: وأفترض أنها سمعت أيضاً تفسيرك. نهض العجوز ، في إحدى الليالي، قبل سنوات طويلة، وراح يهذي

ترهاتٍ في أثناء سيره في الممرّ... وصادف الأمر أنه حدث بعد مغادرتي المنزل بفترة قريبة.

ماريو : ذاكرتك قوية.

بيثينتي: ولكن لم يسمع ذلك أحدٌ غيرك.

ماريو : تتّهمني بأني أخترع القصة.

بيثينتي : أو ربّما حلمتَ بها. لا يمكن الثقة بعقلٍ مثل عقلك. ولكن حتى لو كان ذلك قد حدث حقاً فهذا لا يثبت شيئاً. ربما كنتُ شخصاً أنانياً بعض الشيء عندما غادرت البيت، ولكنني حاولت إصلاح الأمر بعد ذلك وتعويضه. لا يجنُّ أحدٌ جراء مغادرة ابنه البيت إلا إذا كان عنده ميل مسبق إلى التدهور بسبب أمر تافه ما! وهذا ما يُعفيني من أي ذنب.

ماريو : إلا إذا كنتَ أنت نفسك، من خلق مسبقاً هذا الميل.

الأب : (يقدم لإنكارنا القُصاصة) تفضّلي، هذه صورته.

إنكارنا: (تأخذها) شكراً.

بيثينتي: (ببطءٍ متعمّد) أتقصد القطار؟

(ترتاع الوالدة).

ماريو : (منتبهاً إلى والده) اسكت.

الأب : أعجبتك؟

إنكارنا: طبعاً يا سيّد.

الأب : سيّد؟ الجميع هنا يدعونني الوالد... (يضغط برفقٍ على يدها) اعتني به جيداً وسيحيا.

(يأخذ مجلة أخرى ويغرق في تأملها).

بيثينتي: (بصوت متوسّط) لقد قصدتَ القطار، وها أنا ذا قد أتيت هنا لنتحدث عنه.

(ينظر إليه الوالد لحظة ويعود من جديد إلى مجلته).

الأم : لا يا أولادي!

بيثينتي: لِمَ لا؟

الأم : علينا أن ننسى ذلك الحدث.

بيثينتي : أفهم أنها ذكرى مؤلمة لك بسبب البنت المسكينة، ولكنني أنا أيضاً ابنك، والشبهات كلها حولي! قولي له ما حدث يا

أمي**!** **(**إلى ماريو وهو يشير إلى والده**)** هو الذي أمرنا بالركوب مهما كلّف الأمر**!** وأنا تمكنت من ذلك**.** وبعدها، عندما انطلق القطار ورأيتكم على الرصيف لم يكن بوسعي النزول منه**.** احتجزوني**.** ألم يكن الأمر هكذا؟

الأم : ** طبعاً يا ولدي.**

(تتفادى نظرته**).**

بيثينتي: (إلى ماريو**)** أسمعت؟ صعدت لأنه أمرني بفعل ذلك**!**

ماريو : (يتذكّر**)** لم يقل كلمة واحدة طوال ذلك اليوم**.** أتذكرين يا أمي؟ وبعدها في المساء**... (**إلى بيثينتي**)** وهذا لا تعرفه حتى الآن، ولكن أمي تتذكّره أيضاً، لأنها كانت قد استيقظت هي كذلك، استيقظ فجأة في تلك الليلة وراح يضرب على الجدران بالعصا إلى أن كسرها**:** تلك العصا القديمة التي كان يستخدمها**.** كانت والدتنا مذعورة، والطفلة تبكي، ولم أكن أنا أسمع سوى كلمة واحدة عندما كان يضرب ويضرب جدران صالة الانتظار في محطّة القطار، في ذلك المكان الذي وضعونا فيه لقضاء الليلة**.**

(ينتبه الوالد) كان يردّد باستمرار كلمة واحدة**:** يا خبيث**!...** يا خبيث**!**

الأم : (تصيح) اسكتْ**!!**

الأب : (تزامناً يشير إلى خزانة الأدراج). هل حدث شيء في صالة الانتظار؟

ماريو : لا شيء يا أبي، الجميع نائمٌ بهدوء**.**

بيثينتي: ولماذا تفترض أنه كان يشير إليّ؟

ماريو : ومَن غيرك إذاً؟

بيثينتي:ربما كانت هذه المؤشرات الأولى لخلله الدماغي**.**

ماريو : بكل تأكيد**.** لأنه لم يكن رجلاً كغيره من رجال زمانه**.** كان مصنوعاً من خشب الرجال الذين لا يتعافون من غدر الآخرين**.**

بيثينتي: هل أنت أطرش؟ قلت لك لقد أجبرني على الصعود**!**

الأم : أمرنا جميعاً بالركوب يا ماريو**!**

ماريو : وبالنزول. انزل! انزل! كان يقول لك على الرصيف وهو في جمرة غضبه... ولكن القطار انطلق وأخذك معه إلى الأبد لأنك لم تنزل منه قط.

بيثينتي: حاولت، ولكنني لم أتمكن! كنت قد تسلّقت شبّاك دورة المياه، وكان هناك خمسة أشخاص آخرون. لم يكن بمقدورنا أن نتحرك.

ماريو : واحتجزوك.

بيثينتي: كنّا مكتظّين إلى درجة لا تُوصف... كان النزول أصعب من الركوب بكثير. كما أنهم أمسكوا بي كي لا ينكسر عظمي.

ماريو : (بعد دقيقة) وماذا كنت تحمل آنذاك؟

بيثينتي: (بعد دقيقة) ماذا؟

ماريو : هل نسيت الشيء الذي كنت تحمله معك؟

بيثينتي: (مضطرباً) الشيء الذي كنت أحمله معي؟

ماريو : معلقاً على رقبتك... أو أنك لا تذكر؟ (صمت قصير. لا يعرف بيثينتي ما يقول) الكيس الصغير. كانت فيه

مؤونتنا الشحيحة وبضع علب حليب للطفلة. اتّكل عليك والدنا وأعطاك إياه لأنك كنت الأقوى بيننا. ماتت الطفلة بعد بضعة أيام. من الجوع. (تبكي الأم في صمت). لم يأتِ بعد ذلك على ذِكر الموضوع ولم يتكلّم عنه قط. فضّل أن يفقد صوابه.

(يخيم صمت).

بيثينتي: (ضعيفاً) كانت كارثة... في تلك اللحظة لم يخطر ببالي الكيس حتى...

الأم : (ضعيفة جداً) ولم يتمكن من النزول.

ماريو : كانوا ممسكين به...

(صمت طويل. أخيراً ينطق ماريو بهدوءٍ شديدٍ).

ماريو : لم يمسكوا به بل كانوا يدفعونه.

بيثينتي: (ينهض محمراً) كانوا يمسكون بي!

ماريو : بل كانوا يدفعونك!

بيثينتي: أنت لا تتذكّر الأمر بصورة واضحة! كان عمرك عشر سنوات آنذاك!

ماريو : إن لم تتمكّن من النزول، فلماذا لم تلقِ لنا بالكيس؟.
بيثينتي: قلت لك إن الكيس لم يخطر ببالي قط! كنت أقاومهم!
ماريو : (بقوة) بكل تأكيد كنت تقاومهم، ولكن كي تبقى حيّاً! على مدار سنوات عديدة حاولت أن أقنع نفسي بأني أتذكّر الأمر على نحو خطأ، أردت أن أصدّق تلك الرواية التي كانت تروّجها الأسرة. ولكن كان الأمر مستحيلاً، لأنني كنت أراك دائماً من النافذة تمرّ أمام عينيّ الطفوليتين المذهولتين وأنت تتظاهر أنك تحاول أن تنزل مقاوماً دفعات أولئك الجنود بين ضحكاتهم... وكيف تقول إنك لم تتمكّن من النزول؟ فزملاؤك في دورة المياه لم يرغبوا بشيء آخر سوى النزول! ولكنك كنت تعرقلهم! (صمت قصير) ونحن كذلك كنا عرقلة بالنسبة لك. لقد كانت الحرب شنيعة على الجميع، وكان المستقبل غامضاً، وفجأة أدركتَ أن الكيس كان أول غنائمك. لا ألقي عليك التهمة كلها، فلم تكن آنذاك إلا شخصاً جائعاً ومذعوراً. كان يجب علينا أن نكبر في سنوات صعبة... ولكنك اليوم وقد

صرتَ رجلاً، فنعم، أنت المذنب! طبعاً عدد ضحاياك قليل. إذ يوجد أوغادٌ لا يحصى عددهم تركوا خلفهم آلاف الضحايا، بل ملايين. لكنك أنت أيضاً مثلهم! ومع مرور الوقت سترى أن عدد ضحاياك سيزداد، وغنائمك أيضاً. (بيثيتني الذي أظهر من حين إلى آخر رغبة خجولاً في الرد على ما يقوله ماريو، أصبح ذابلاً. فهو الآن ينظر إلى الجميع بعيني وحش مفزع تعس. تحرف الوالدة نظرها. يحني بيثينتي رأسه ويجلس باكتئاب. يقترب ماريو منه ويحدّثه بهدوء) كذلك الطفل الذي رآك من نافذة القطار، هو أيضاً ضحيتك. ذلك الطفل الحسّاس، الذي علّمه أخوه الأكبر، فجأة، حقيقة هذا العالم.

الأب : **(**إلى إنكارنا وبيده بطاقة**)** من هذا يا بنت؟

إنكارنا: **(**بهدوء**)** لا أعرف.

الأب : آه! أنا، نعم، أنا أعرف.

(يأخذ العدسة ويدقّق النظر باهتمام شديد**).**

بيثينتي : (دون أن ينظر إلى أحد**)** اتركوني وحدي معه**.**

ماريو : (بهدوء شديد**)** الآن، لماذا؟

بيثينتي : من فضلك**!**

(ينظر إليه دون أن يرتسم في عينيه أي تعبير**).**

ماريو : (يتأمله لدقيقة**)** هيا بنا إلى غرفتك يا أمي**.** تعالي يا إنكارنا**.**

(يساعد والدته على النهوض**.** تنهض إنكارنا وتتّجه إلى الممرّ**).**

الأم : (تلتفت إلى بيثينتي قبل أن تخرج**)** يا بُنيّ**...!**

(يقودها ماريو**.** تمشي إنكارنا وراءهما**.** يدخل الثلاثة غرفة النوم ويغلقون الباب**.** وقفة**.** يستمر الوالد في النظر إلى بطاقته**.** ينظر إليه بيثينتي وينهض، ثم يتّجه مهلاً نحوه ويجلس حول الطاولة إلى جانب الوالد كي لا يرى وجهه**).**

بيثينتي : صحيح يا والدي**.** كانوا يدفعونني وأنا لم أرِد النزول**.** تخلّيت عنكم، وماتت الطفلة بسببي**.** أنا كذلك كنت

طفلاً صغيراً ولم يكن لحياة المرء قيمة في ذلك الحين... أوقعت الحرب مئات آلاف الضحايا من بينهم صبية وصبايا، كان ذلك بسب الجوع أو بسبب القنابل... وعندما علمت قلت لنفسي: طفلة أخرى. حتى إنها لم تبدأ حياتها بعد... (يخرج من جيبه ببطء قصاصة الورق التي أعطاها له والده قبل أيام). تكاد لم تكن أكثر أهمية من هذه القُصاصة التي أعطيتني إياها. (يُريه القصاصة بابتسامة حزينة) نعم. فكّرتُ في هذا الخزي لكي أهدّئ نفسي. كم أرغب لو أنك تفهمني، ولكن أعرف أنك لا تفهمني. أكلّمك مثل مَن يدعو الله وهو لا يؤمن به فعلياً لأنني أتمنى لو كان موجوداً معنا... (يحرف الوالد نظرته عن البطاقة ويعير انتباهه إلى بيثينتي بشدّة) لكنه غير موجود، وتالياً لا تتمّ معاقبة أحد، وهكذا تستمر الحياة. انظر إليّ يا أبي: أنا أبكي. سأغادر بعد دقائق كي أوقع المزيد من الضحايا، ومعي بريق خفيف من الأمل بأنك تسمعني،... ومن وقتٍ لآخر سأفكّر أنني فعلت كل ما استطعت عندما اعترفت بذنبي أمامك، إلّا أنه لا جدوى من ذلك

لأنك لا تفهم... أما المجنون الآخر، شقيقي، سيقول لي: يوجد جدوى. ولكن من بمقدوره إنهاء الأعمال القذرة في عالم قذر؟

(قبض بيديه على قصاصة الورق المجعدة التي أخرجها).

الأب : أنا.

بيثينتي : (ينظر إليه) ماذا تقول؟ (ينظر أحدهما إلى الآخر وبيثينتي يحرف نظره عنه) لا شيء. وماذا عساك أن تقول؟ وعلى الرغم من ذلك كنت أود أن تفهمني وتعاقبني مثلما كنت تفعل عندما كنتُ طفلاً، كي تتمكن من مسامحتي لاحقاً.. لكن من يستطيع الآن المسامحة بل حتى المعاقبة؟ أنا لا أؤمن بشيء على الإطلاق، وأنت مجنون. (يتنهّد) أؤكد لك أنني متعب جداً من كوني رجلاً. تؤرقني هذه الحياة المليئة بالخوف وبالإيمان المزيف إلى درجة الموت. غير أنه من المستحيل العودة بالزمان إلى مرحلة الطفولة.

الأب : لا.

(تُسمع دقات على زجاج الشبّاك. ينظر الوالد إلى المنور بتلهف مفاجئ في حين ينظر الابن باضطراب).

بيثينتي : من يدق؟ **(صمت قصير)** أولاد. دائماً هناك ولدٌ يفعل هذا. **(يتنهّد)** صار من اللازم الآن العودة إلى هناك في الأعلى، للمواظبة على دوس الآخرين. خذ. أعيدها لك. **(يعطيه الدمية الورقية).**

الأب : لا. **(بشدّة)** لا!

بيثينتي : ماذا؟

الأب : لا تركب القطار.

بيثينتي : لقد ركبته يا أبي.

الأب : أنت لن تركب القطار.

(يبدأ يُسمع ضجيج القطار بعيداً).

بيثينتي : (ينظر إلى والده) لماذا تنظر إليّ على هذا النحو يا أبي؟ لعلك صرت تعرفني؟ **(نظرة الوالد الفظيعة والتائهة لا تبتعد عنه. يبتسم بيثينتي بحزن)** كلا. كما أنك لا تفهم... **(يبعد نظره عن والده وفي صوته نبرة تضايق)** لقد ماتت ألبيريتا بسببي أنا يا والدي؟ بسببي أنا! ولكن حتى أنت يا أبي لا تعرف من كانت ألبيريتا. **(ازداد ضجيج القطار تدريجياً**

وأصبح قوياً جداً. يهزّ بيثينتي رأسه بألم) ألبيريتا! هي نزلت تحت الأرض وأنا صعدت... والآن لا بدَّ من العودة إلى ركوب ذلك القطار الذي لا يتوقّف أبداً...

(تكاد لا تُسمع كلماته الأخيرة التي ضاعت في صخب القطار المرعب. ودون أن يُفهم شيء مما يقول يستمر في كلامه رغم الضجيج الذي لا يُطاق. يشرع الأب في النهوض).

الأب : لا! ... لا!

(كذلك لم تسمع صيحات نفي الوالد المتشنّجة. يقبض الوالد مقصّه وهو واقف خلف ابنه الذي لا يزال ينطق كلمات غير مسموعة. ترسم شفاه الوالد ووجهه، من جديد، نفياً غاضباً عندما يُنزل ضربته الأولى باهتياجٍ شديد، على بيثينتي، وتتكرّر علامات النفي نفسها عند الضربة الثانية ثمَّ الثالثة... يكاد لا يُسمع صوت صياح الابن عند الطعنات الأولى، ولكن يفتح عينيه وفمَه. يعلو أخيراً على الضجة الرهيبة، صوت الابن عند الطعنة الثالثة أو الرابعة متضرعاً تضرعه الأخير).

بيثنتي: أبي!

(بين صياح مثير للشفقة يوقع الرجل المسنّ المهووس طعنتين أو ثلاثاً على جسدٍ فاقد الحياة يميل إلى الأمام وينهار نحو الأرض. ينظر الوالد إليه بعينين لا تحتويان أي تعبير، ثم يرمي المقص ويذهب إلى المنور ويفتحه كي ينظر خارجاً. لا أحد يمرّ. الضجيج المنبعث من القطار، الذي أخذ يتلاشى تدريجياً، لا يزال يحول دون سماع النداء المرتسم على شفتيه).

الأب : ألبيريتا!

(يتلاشى الضوء رويداً رويداً. يبتعد ضجيج القطار وينطفئ في الوقت نفسه. يخيّم ظلام دامس على المشهد. صمت مطلق .بقعة ضوء تنير كلا الباحثين).

هي : كان العالم مليئاً بالظُلم والحروب والخوف. لقد نسي الفاعلون في هذا العالم التأمل؛ فمن كان يتأمل لم يكن يعرف القيام بأي فعل.

هو : لم نعد نقع اليوم في هذه الأخطاء، فعينٌ لا رحمة لها ترعانا، وهذه العين هي عيننا نحن. يحرسنا الحاضر وسيعرفنا المستقبل كما نعرف نحن الذين سبقونا.

هي : لذلك علينا متابعة المهمّة المستحيلة: أن ننقذ من هذه العتمة، شجرة تلو شجرة، وغصناً تلو غصن، غابة إخواننا الخالدة. إن هذا يتطلب منا جهداً سرمدياً وسوداوياً، وقد لا يؤدي بالضرورة إلى نتيجة: فنحن لا نعرف شيئاً على سبيل المثال عن ذلك الكاتب الذي كانت تلك الظلال تستشهد به مراراً وتكراراً. غير أنه في اختبارنا القادم لن يكون هذا الكاتب هو هدف بحثنا، بل سنبحث قبل ذلك عن قصّة تلك المرأة التي قد عبّرت عدّة مرات أمامكم دون أن تنطق بكلمة واحدة.

هو : يروّج المجلس هذه الذكريات كي يساعدنا على مواجهة ألغازنا الأخيرة.

هي : الزمان... السؤال...

هو : إن لم تشعروا لوهلةٍ بأنكم أشخاصٌ حقيقيون من القرن العشرين، وأنَّ وعي المستقبل يراقبكم ويحكمكم؛ وإن لم تشعروا في لحظة أخرى بأنكم أشخاص من مستقبل أصبح جزءاً من الحاضر،

تحاكمون، بقساوة وبرحمة، أناساً قدامى يشبهونكم، فهذا يعني أن الاختبار قد فشل.

هي : انتظروا، بالرغم من كل شيء، أن ينتهي الاختبار. فلم يبق منه سوى مشهد واحد. حدث هذا المشهد بعد أحد عشر يوماً. ها هو ذا.

(تشير إلى الجانب الأيسر حيث تزداد الاهتزازات الضوئية، ثم تختفي مع زميلها. تبدأ إنارة الجانب الأيمن أيضاً. يتأمل ماريو وإنكارنا الفراغ وهما جالسان إلى طاولة المقهى).

إنكارنا: هل رأيتَ والدك؟

ماريو : صار هادئاً الآن. أحضرت له مجلات ولكنهم لا يسمحون له باستخدام المقصّ. لقد بدأ يقصّ دمية... بأصابعه. **(تتنهّد إنكارنا)** مَن هو والدي يا إنكارنا؟

إنكارنا: لا أفهمك.

ماريو : هل هو موجودٌ؟

إنكارنا: لا تقل هذا!

ماريو : ونحن؟ هل نحن موجودون؟

إنكارنا: ربّما لسنا شيئاً**!** **(**يخيّم صمت**).**

ماريو : أنا قتلتُه**!**

إنكارنا: **(**تفزع**)** قتلتَ مَن؟

ماريو : أخي**.**

إنكارنا:لا يا ماريو**!**

ماريو : كنت أستدرجه إلى أن وقع أخيراً في الهاوية**.**

إنكارنا: أيّ هاوية؟

ماريو : تذكرين الحلم الذي أخبرتك عنه هنا بالضبط**.**

إنكارنا: كان حلماً فحسب يا ماريو**...** أنت إنسان طيّب**.**

ماريو : أنا لست طيباً؛ كما أن شقيقي لم يكن سيئاً**.** لذلك عاد إلى المنزل**.** كان يريد أن يكفر عن ذنبه على طريقته**.**

إنكارنا: إذاً لم تستدرجه أنت**.**

ماريو : أنا حرّضته على أن يعود إلى البيت**.** كان يعدّني سلبياً وغير فعّال، وكان يتصرف على نحو شنيع**!**

إنكارنا: لقد أراد الاستمرار في خداعه... تذكّر... وأنت أردت إنقاذه.

ماريو : هو أراد الاستمرار في خداعه... والرؤية أفضل؛ وأنا أردت إنقاذه... وقتلته. ولكن ماذا كنّا نريد حقّاً؟ ماذا كنت أريد أنا؟ كيف أنا؟ ومَن أنا؟ ومَن كان ضحية مَن؟ لن أعرف هذا أبداً... أبداً.

إنكارنا: لا تفكّر فيه؟

ماريو : **(ينظر إليها ويخفض صوته)** وماذا فعلنا نحن، كلانا، بكِ؟

إنكارنا: اسكت**!**

ماريو : ألم نستخدمك، كلانا، كي يجرح أحدنا الآخر بشكل أعنف؟

(صمت).

إنكارنا**: (**عيناها نحو الأسفل**)** لماذا اتّصلت بي؟

ماريو : **(**ببرود**)** أردت أن أعرف أخبارك. أما زلتِ في دار النشر؟

إنكارنا: لقد طردوني.

ماريو : ما الذي تنوين فعله؟

إنكارنا: لا أعرف. **(**تدخل العاهرة من الجهة اليمنى. وتترنّح ترنّحاً محترفاً بحركات خفيفة مضجرة وتتّكئ لحظة على الحائط. تراها إنكارنا وتتأثّر. تنهض فجأة وتأخذ محفظتها**)**.

الوداع يا ماريو**!**

(تمشي نحو الجهة اليمنى**)**.

ماريو : انتظري.

(تتوقّف إنكارنا. ينهض ماريو ويصل إليها. تنظر إليهما العاهرة بفضولٍ مخفيٍّ، وما إن تلاحظ أنّهما لا يتكلمان حتى تعبر بينهما ثم تخرج ببطءٍ من الجهة اليسرى. تزداد الإنارة في غرفة الجلوس بشكل ملحوظ وتدخل فيها الوالدة بلباس الحداد وتلامس بحزن واضح أريكة زوجها**)**.

إنكارنا: **(**دون أن تنظر إلى ماريو**)** لا تلعب معي.

ماريو : لن ألعب معكِ. لن أصنع ضحية ثانية إن كان بإمكاني تجنّب ذلك. إن بقي في قلبك ذرة حبّ تجاهي، فاقبليني.

إنكارنا: (تبتعد بضع خطوات مرتعشة**)** أنا حامل.

ماريو : سيكون طفلنا. **(**ترتعش إنكارنا دون أن تتجرأ على النظر إليه. ينفي بحزن وهو يقترب منها قائلاً**)** لا أفعل ذلك من باب الرحمة بك، فأنت من عليه أن يرحمني ويعطف عليّ.

إنكارنا : (تلتفت وتنظر إليه**)** أرحمك أنا؟

ماريو : ترحمينني أنت، نعم. الحياة كلّها.

إنكارنا: (تتردّد، ولكنها أخيراً تقول بصوتٍ خافتٍ وعذب**)**. الحياة كلّها**!**

(كانت الوالدة تقترب من المنور غير المرئي. فتحته وراحت تنظر إلى الناس الذين يعبرون والذكريات تغمر عينيها. شبكة المنور ارتسمت على الجدار: ظلال رجال ونساء يعبرون؛ تغمر ضجة الشارع المبهمة بوقع أقدام العابرين المشهد. تبحث يد إنكارنا الخجول عن يد ماريو. ينظران كلاهما إلى الأمام).

ماريو : ربّما، هم، في يوم من الأيام... يا إنكارنا. نعم، هم في يوم من الأيام... هم...

(تعبر الظلال المعكوسة على جدار غرفة الجلوس في كل مرة بهدوء أكثر إلى أن ينتهي بهم المطاف أخيراً إلى السكون، سواء الوالدة أم ماريو أم إنكارنا أم الظلال العابرة. يبدأ الضوء بالزوال تدريجياً على الخشبة، مع بقاء مستطيل المنور مضاءً فحسب. عندما يبدأ، بدوره، بالانطفاء، هو وهي يظهران مجدّداً من جانبي الخشبة).

هو : كان هذا كل شيء.

هي : شكراً جزيلاً.

(إسدال الستارة).

فهرس

الصفحة

مقدمة ٥

الفصل الأول ١١

الفصل الثاني ١٢٥

جعفر العلوني

- من مواليد دمشق ١٩٨٩م.
- حاصل على إجازة في الأدب الإسباني من جامعة دمشق (٢٠١١).
- ماجستير في الترجمة من جامعة ألكالا، إسبانيا (٢٠١٧).

له في الترجمة:

- «تجريد الفن من النزعة الإنسانية» (٢٠١٣).
- «الأدب الإسباني في القرن العشرين» (٢٠١٤).
- «رواية «الضباب» (٢٠١٥).

صدر له مترجماً إلى الإسبانية:

- «ديوان الشاعرات العربيات المعاصرات» (٢٠١٦)،
- «السلطة والمفكرون في الأندلس» (٢٠١٧).

أنطونيو مارتينز كاسترو

- حاصل على الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية من جامعة أوتونوما بمدريد (٢٠١٦).
- شغل منصب أستاذ زائر في جامعة دمشق وجامعة صنعاء الجديدة (٢٠٠٥-٢٠٠٩).
- حالياً هو رئيس قسم اللغة العربية في المدرسة الرسمية للغات في مدينة المرية.

له في الترجمة:

- رواية «طيور أيلول» لإملي نصر الله مترجمة إلى الإسبانية.
- مسرحية «المنور» مترجمة إلى العربية.

الطبعة الأولى /٢٠١٧

كلمة الغلاف

إننا أمام مسرح أخلاقي، حيث الصراع الجوهري فيه هو بحث الإنسان عن الحقيقة، هذه الحقيقة القاسية التي لا يمكن تقبلها بأي شكلٍ من الأشكال. والحقيقة هي الجريمة التي يرتكبها بيثينتي، أحد أبطال المسرحية، في الماضي القريب. إن هذه الحقيقة - الجريمة - هي المحرك الرئيس لأبطال المسرحية، وكأن الكاتب يعيدنا بذلك إلى قصة قابيل وهابيل والجريمة، الحقيقة الأولى لكل شيء.